الخطب الإلهامية

الجزء الثالث

شهر رجب والإسراء والمعراج

فوزي محمد ابو زيد

دار الايمان والحياة

الخطب الإلهامية

هنا نورد فقط جزء ٣: شهر رجب والإسراء والمعراج

فوزى محمد أبوزيد

الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة

دار الإيمان والحياة



الكتـــــاب	الخطب الإلهامية
المؤلـــــف	الأستاذ فوزى محمد أبوزيد
الطبعـــة الثانية	١٢ أكتوبر ٢٠٠٩م الموافق ٢٣شوال ١٤٣٠هـ
الطبعـــة الأولى	صدر المجلد فى ستة أجزاء منفصلة خلال عام ٢٠٠٠م الموافق للتواريخ من عام ١٤٢١هـ
عدد الصفحات	٥١٢ صفحة (٨٩ صفحة للجزء الثالث)
المقـــاس	١٧ سم * ٢٤ سم
الـــورق	٧٠ جم
الطباعة الداخلية	١ لون ، أسود
الغـــلاف	كوشيه لميع ، ٢٥٠ جرام
طباعة الغــلاف	٤ لون، سلوفان لميع
إشـــــراف	دار الإيمان والحياة - ١١٤ش ١٠٥- المعادى- القاهرة- جمهورية مصر العربية، ت: ٢٥٢٥٢١٤٠-٢-٢٠، فاكس ٢٥٢٦١٦١٨-٢-٢٠
طبـــــاعة	دار نوبار للطباعة
رقم إيداع محــلى	٢٠٠٩/١٦٩٤٧
الترقيـــم الدولى	ISBN: 977-17-7545-6

مقدمة الطبعة الثانية (مقدمة المجلد الكامل)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده، سيدنا مُحَّمد وآله وصحبه.

بعد أن قدمنا الطبعة الأولى من كتابنا " الخطب الإلهامية" (المناسبات) فى ست كتب متتالية تشتمل على المناسبات الدينية طوال العام كما سيأتى تفصيله لاحقا بهذه المقدمة؛ تهافت القراء على هذه الكتب وبخاصة المشتغلون بالدعوة والوعظ على مستوى الجمهورية حتى نفدت الطبعة فى وقت قصير، وطالبنا الكثير من القراء ودور النشر بإعادة طباعتها.

فاستخرنا الله تعالى فى ذلك وآثرنا أن تطبع الأجزاء الستة فى مجلد واحد حتى تكون أيسر للقارىء وأسهل للباحث والداعى فى الوصل إلى مايريد، وقد ضبطنا فى هذه الطبعة الآيات برسم المصحف العثمانى، وشَكَّلْنَا الأحاديث النبوية الشريفة، كما حذفنا الأدعية فى الخطبة الثانية وتركناها لما تجود به قريحة الخطيب بحسب المناسبة وتوجه قلبه إلى الله، وارتأينا أن نطبع الكتاب طبعة ميسَّرة ليعم به النفع ويزيد به الفضل.

القارىء الكريم، كتابنا هذا الذى بين يديك مكون من تمهيد وستة أبواب، وقد تناولنا فى التمهيد أمرين أساسين يلزم معرفتهما جيداً، أولهما هو "منهج الداعى الحكيم و أوصافه" وهى إضافة لم تكن بالطبعة الأولى، والأمر الثانى هو أحكام الجمعة من يوم وخطبة وصلاة، وأما الأبواب فقد رتبناها وفق التسلسل الزمنى للمناسبات خلال العام فكانت كما يلى:

الباب الأول :"الهجرة ويوم عاشوراء" : وقد تناولنا فيه أحداث الهجرة من مكة إلى المدينة بكل تفصيلاتها، وأفضنا في بيان الآيات القرآنية التي أشارت إليها بحسب ما فتح الله ﷻ واستلهمنا منها العبر التي تنفع المؤمن في حياته فرداً وجماعة، حيثما كان، وأخذنا من مجتمع المهاجرين والأنصار الأسس والقيم والمثل التي تصلح المجتمعات وبينا كيفية تحقيق ذلك في مجتمعاتنا المعاصرة، كما لم نغفل يوم عاشوراء وألمحنا إلى الكيفية الصحيحة للاحتفاء به.

ولا يفوتنا أن نذكر بأن أحداث الهجرة تمت في شهر ربيع الأول فقد خرج النبي ﷺ من مكة مهاجراً يوم الإثنين الأول من شهر ربيع الأول ودخل المدينة المنورة يوم الإثنين التالي فكانت فترة الهجرة أسبوعاً، أما السر في جعلها في بداية العام الهجري فيرجع ذلك إلى عصر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ حيث جاءته بعض رسائل من القاده والولاه مختومة بعبارة كُتب في رجب مثلاً؛ فقال ﷺ: أيُّ رجب؟ هذا العام أم السابق؟ ثم جمع ﷺ أصحابه

واستشارهم فى إتخاذ تأريخ للمسلمين، وكان العرب يؤرخون من قبل بالأحداث العظيمة كحادثة الفيل، فاقترح البعض أن يؤرخ بميلاد النبي أو وفاته، واستحسن سيدنا عمر ﷺ أن يبدأ التأريخ الإسلامى بهجرة النبي لأنها البداية الحقيقية للدولة الإسلامية، ولما كانت السنة الهجرية تبدأ بشهر المحرم جعله أول العام الهجري الأول وكان ذلك بداية التقويم الإسلامي العربي القمري والذي تنبني عليه الشهور العربية والأحكام الشرعية، ومن ثم جرى الإحتفال بذكرى الهجرة أول العام فى شهر المحرم، وإن كانت الهجرة ذاتها تمت فى شهر ربيع الأول.

أما الباب الثانى ففى خطب المولد النبوى الشريف : فقد انتقينا من الخطب الكثيرة جداً التي سجَّلها الأحباب ثُلة مباركة كنماذج لمعالجة مشاكل الأفراد والمجتمعات على ضوء هذه الذكرى العطرة،وآثرنا منها ما تحتوى على ما يُوحي به جلال المناسبة من توجيهات توقظ الأمة من غفلتها، وتثير عزائم نهضتها، وتجعلها تتجه لنبيها تستلهم منه الرُّشْد، وتستمد الهداية لما فيه خيرها وفلاحها في الدنيا ويوم لقاء الله.

والباب الثالث يشتمل على مجموعة مباركة من الخطب التي فتح الله بها علينا في المناسبة الكريمة لذكرى الإسراء والمعراج، وقد سجلناها بحسب إلقائها وذكرنا الأماكن والمساجد التي ألقيناها بها، وقد بدأناها بخطبتين عن شهر رجب المبارك وفضله لأنه من الأشهر الحرم، ثم أتبعناها بعدد من الخطب ذات المعانى الجديدة فى تناول الموضوع المبارك والتى يشعر معها القارىء الكريم بحلاوة الذكرى المباركة وبأنها معين لاينضب من الإلهامات والأنوار والخيرات والبركات على الأمة بأسرها.

أما الباب الرابع :فقد خصصناه لشهر شعبان المبارك، فبينَّا فيه خصائص الشهر، وما خصه بها الحبيب ﷺ من التوجهات والعبادات والنوافل، وقسمنا الباب ثلاثة فصول: الأول للخطب، والثاني ذكرنا فيه فضائل ليلة النصف من شعبان وسردنا الأدلة اليقينية على الإحتفال بها، كما أوردنا بعض الأدلة فى ثبوت معجزة شق القمر لحاجة الخطباء والدعاة لذلك، وأما الفصل الثالث فقد أوضحنا فيه الكيفية الصحيحة لإحياء ليلة النصف، وإغتنام فضلها والتعرض لنفحاتها وذلك من بيان وأحوال أئمة السلف الصالح والعلماء العاملين.

أما الباب الخامس فكان لشهر رمضان وليلة القدر وعيد الفطر... وقد تناولنا فيه حكم الصيام الصحية والاجتماعية والشرعية والخلقية وغيرها وتحدثنا فيه عن سنن الصيام وآدابه ومستحباته، وألمحنا إلى غزوة بدر والاعتكاف وليلة القدر، وذكرنا زكاة الفطر وحكمتها ووضعنا نماذج لخطب عيد الفطر المبارك وذلك كله بأسلوب سلس يلائم العصر.

والباب السادس والأخير فهو عن الحج وخطب عيد الأضحى، وقد ركزنا فيه على

ثواب الحج ودرجات الحجاج ومنزلتهم عند الله، وفضائل البيت الحرام وآياته الظاهرة والباطنة، وألمحنا إلى قدر الرحمة الواسعة التي يُنزلها الله ﷻ على عباده في هذه الأماكن المباركة، والأزمنة الفاضلة، وخاصة في يوم عرفة، وذكرنا فيه قصة الخليل إبراهيم، والذبيح إسماعيل، واستخلصنا العبر وموطن القدوة التي يأخذها كل مسلم منها.

وذكرنا أيضاً فضائل الأعمال التي يجب أن يتحلى بها المؤمن في أيام عشر ذي الحجة، وفضل صيام يوم عرفة، وبينا السنن التي ينبغي على المسلم مراعاتها في أيام التشريق كالأضحية، والتكبير وغيرها وذلك بأسلوب سلس ممتع للعامة والخاصة.

وأحب أن أنوه فى ختام هذه المقدمة إلى أننا عرضنا في هذا الكتاب ما رأيناه أقرب إلى الصواب وإن رأى البعض أننا ربما نستدل أحياناً ببعض الأحاديث الضعيفة سنداً؛ فذلك ما إتفق عليه أئمة الأصول في قاعدتهم المشهورة من أنه يُعْمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، وقد تأسّينا في ذلك بقول إمامنا الشافعي ﷺ : رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب.

أسأل الله تعالى التوفيق والسداد والهدى والرشاد وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجزى خير الجزاء كل من ساهم أو شارك فيه من البدء للختام حتى وصل للقارىء الكريم بهذه الصورة الطيبة، كما أسأله سبحانه أن يسامحنا فى كل قصور أو تقصير خالطه، وعذرنا فى ذلك كما قال الأولون أن الله تعالى أبى أن يكون كتابٌ صحيحاً إلا كتابه، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

الجمعة ٢٨ أغسطس ٢٠٠٩، الموافق ٦ رمضان ١٤٣٠ هـ

فوزي محمد أبوزيد
: الجميزة، محافظة الغربية، جمهورية مصر العربية
: ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٠٥١٩، ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٤٤٦٠ :
WWW.fawzyabuzeid.com :
fawzy@fawzyabuzeid.com :
fawzyabuzeid@hotmail.com
fawzyabuzeid@yahoo.com

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلَّمه البيان، وأهلَّه للعيان، وتوَّجه بتاج الخلافة عن الرحمن. والصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان على خير من بعثه الله لهداية خلقه وحفظه ظاهراً وباطناً من أهواء النفس ومن شرار خلقه سيدنا مُحَمَّد فقيه الفقهاء، وحكيم الحكماء، وإمام الرسل والأنبياء وآله البررة الأنقياء، وأصحابه الهداة الأتقياء وكل من تبعهم على هذا الهدي المبارك إلى يوم العرض والجزاء وعلينا معهم أجمعين آمين يا ربَّ العالمين.

وبعد ... فقد خاطبني شيخي وقدوتي مولانا الشيخ مُحَمَّد علي سلامة ذات مرة قائلاً في إحدى اللقاءات الطيبة مع حضرته: يا بني اكتب بعض الخطب الخاصة بالمناسبات الدينية في كتاب ويطبع لينتفع بها إخوانك، ولما كنت في هذا الوقت في حال محو تام مع حضرته، وأشعر دائماً بعجزي وقصوري في نفسي؛ فقد رأيت في ذلك الحين أن هذا مقام لا يصلح له مثلي، فاعتذرت عن ذلك باعتذار رقيق ونسيت ذلك الأمر، ولكن في السنوات الأخيرة ألحّ عليَّ كثير من الإخوان الصادقين الذين يتعرضون للدعوة ويعتلون المنابر في تنجيز ذلك، وزاد هذا الأمر إلزاماً ما أنجزه بعض الأخوة والأخوات الأفاضل من تصنيف هذه الخطب ثم نسخها كتابة، بعد أن بذلوا الجهد الكبير في جمع الشرائط التي سجلها الإخوان في السياحات الروحانية في الموضوعات المتنوعة، وبقى لنا أن نراجعها ونخرجها ونطبعها ، فاستخرنا الله تعالى في ذلك منذ عام أو يزيد وكان هذا هو أوان الإذن في ذلك من الله عز شأنه فما فيها من صواب فهو من الله ﷻ فبه سبحانه وحده التوفيق وعليه جلَّ شأنه مدد المعونة والتحقيق.

ولما كان كمّ الخطب كثيراً جداً، والواحدة تقع في صفحات كثيرة على غير المعتاد في الكتب المؤلّفة في هذا الفن، فكان يصعب علينا أن نجمع المناسبات المختلفة خلال العام في كتاب واحد لأنه سيكون كبير الحجم، فقد استخرنا الله تعالى أن نجعل لكل مناسبة دينية كالمولد النبوي، والإسراء والمعراج، والصوم وشهر رمضان، والحج، والهجرة النبوية وغيرها جزءاً خاصاً بها ننتقي بعض الخطب مما سجله الإخوان في هذا الشأن ونراجعها لتكون كنموذج يحتذيه الخطيب في معالجة مثل هذه الموضوعات على أن تصدر هذه الأجزاء تباعاً.

ولما كان الهدى الذي احتذينا فيه حذو شيخنا الشيخ مُحَمَّد علي سلامة ؓ في خطبنا أن نأخذ آية مما يقرأه القارئ لكتاب الله تعالى قبل الصلاة تناسب الوقت والحاضرين ونشرحها بما يفتح به الله ﷻ على قدر ما تتحمله وتستوعبه مدارك السامعين دون إعداد سابق للخطبة أو حتى تحديد لموضوعها فقد سمينا هذا الكتاب (الخطب الإلهامية) فهي كلها بحمد الله تعالى من

كنز قوله سبحانه: ﴿ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥الكهف)، وقد كان هدى شيخنا ﷺ في خطبة الجمعة:

- أن يلقيها بلغة سهلة وواضحة لتصل مباشرة إلى أذهان الحاضرين، وكان يحرص ﷺ ألا تكون الخطبة طويلة مملة أو قصيرة مخلّة؛ وكان من غرائب هذا أنيّ كنت أتابعه ﷺ في خطبة ممسكاً بساعتي فكان لا يزيد على ١٧ دقيقة إلا نادراً؛ ومع ذلك نخرج وقد استوعبنا الموضوع من جميع نواحيه، وكان يقول لنا دائماً في ذلك لأن نتركهم راغبين خيرٌ من أن يتركونا زاهدين!، المهم يا بني أن يقوم الناس من المسجد وقد عرفوا موضوعاً محدداً من أمور دينهم واستوعبوه ليعملوا به، وامتداداً لهذا النهج كان ﷺ يتحرَّى دائماً أن تكون موضوعاته على المنبر أو في دروس المساجد فى موضوع واحد لا يخرج عنه الخطيب حتى لا يشتّت السامعين، وأن تكون من الموضوعات العامة التي يحتاجها كل مسلم، ويبتعد عن ذكر الأمور الخلافية أو الإشارة إليها، وعما يثير الفتن والمشاكل بين الناس.
- وكان ﷺ يحرص على التبشير في كل خطبه ودروسه ولا يميل إلى التَشديد والتعسير، ويفتح للناس أبواب رحمة الله الواسعة ويمزج ذلك بتخويف لا يقنطهم من رحمته تعالى.
- وكان شديد الأدب في الحديث عن العلماء جميعاً فلا يجرِّح أحداً من المعاصرين حتى ولو أخطأ بل يلتمس له العذر ويبرر له موقفه، ومع ذلك يقرر الصواب بطريقة حكيمة، أما السابقين فيترضى عنهم أجمعين، كان يعيب على من يحفظ الخطب أو يستظهرها ثم يلقيها ويقول نحن لا نحب لأحد من إخواننا أن يحفظ الخطب ثم يكررها بالنص، ولكن يفهم المحتوى ثم يعبِّر عنه بأسلوبه.

فنعم المربي ﷺ كان لنا، فجزاه الله عنَّا خير الجزاء بمغفرة ورضوان وخير في الدنيا والآخرة، إنه نعم المجيب، والله تعالى أسأل أن يبارك في كل من ساهم في هذا العمل بتسجيله أو جمعه أو نسخه أو طبعه أو نشره وأن يمدهم بمدد توفيقه، ويلحظهم بعين عنايته، وأن يجعلهم في الدنيا من أهل ولايته وفي الآخرة من أهل سعادته، وأدعو الله ﷻ أن ينفع به من قرأه أو سمعه وأن يجعلنا جميعاً من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله على سيدنا مُحَّد وعلى آله وصحبه وسلم. فوزى مُحَّد أبوزيد

الثلاثاء ١٢ صفر ١٤٢١ هجرية، ١٦ من مايو ٢٠٠٠م، الجميزة، غربية.

الباب الثالث

شهر رجب الأغرُّ والإسراء والمعراج

الخطبة الأولى: أدب المؤمن في الأشهر الحرم.

الخطبة الثانية: رجب شهر التوبة.

الخطبة الثالثة: حديث القرآن عن الإسراء.

الخطبة الرابعة: الإسراء وعلاج مشكلات المجتمع.

الخطبة الخامسة: جمال الدعاء في الإسراء.

الخطبة السادسة: بركة الوقت للأنبياء والصالحين.

الخطبة السابعة: الصلاة علاج لأمراض العصر.

الخطبة الثامنة: سر ابتلاء المؤمنين.

الخطبة التاسعة: الهدى الإسلامي في الإنفاق.

الخطبة العاشرة: الحكمة العالية للمعراج.

الخطبة الحادية عشرة: حكمة الإسراء إلى بيت المقدس.

الخطبة الثانية عشرة: منح الإسراء للأصفياء.

الخطبة الثالثة عشرة: الإسراء وتحقيق المجتمع الفاضل.



منبر المسجد النبوى بالمدينة المنورة

الخطبة الأولى[١]

أدب المؤمن في الأشهر الحرم

الحمد لله ربِّ العالمين وولي المؤمنين ومجيب السائلين. سبحانه سبحانه هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي تنزَّه عن الوالدة والولد وعن الشريك والنظير والوزير والمشير ألقى الكلمات بقدرته وأوجدها بعظمته وسخرها بباهر حكمته وهو بعد ذلك لا يطلب من المرء إلا الشكر على نعمته ﷻ ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (٧إبراهيم).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق السموات والأرض بقدرته وخلق الإنسان وسواه ونفخ فيه من روحه وأظهر فيه جماله العلي وبهائه السرمدي ليتعرف به ﷻ عليه وليهتدي بمصنوعاته في الأكوان إليه هذا الإله العلي القدير الذي خلق الخلائق والذي أبدع الكائنات والذي بيده الملك وبيده الملكوت هو الذي أسرى بحبيبه ومصطفاه ﷺ من الملك إلى الملكوت ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١الإسراء).

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبد الله ورسوله اختاره الله لحضرته وخصه بنبوته ورفع قدره ومنزلته عنده حتى كان قاب قوسين أو أدنى ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝ ﴾ (١٠، ١١النجم)، صلوات الله وسلامه على هذا النبي الكريم الذي وصفه مولاه ﷻ في القرآن الكريم بأنه ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢٨التوبة).

وبعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون ....

ونحن في أول هذا الشهر الكريم شهر رجب نريد أن نتعرف على بعض المعاني التي أكرمنا الله ﷻ بها في هذه الأوقات فإن الله ﷻ هو الذي وقت المواقيت وحدد الأمكنة وبين الأزمنة، فضل بعض الأوقات على بعض، وخصَّ بعض الأمكنة بالفضل الذي لا يوجد في البعض. ففضل على الشهور شهر رمضان وبعده في الفضل رجب وشعبان وفضل على الأيام يوم عرفة وفضل على الليالي ليلة القدر وفضل على الأمم أمة الإسلام وفضل على الرسل رسولكم الكريم وكل ذلك يقول المولى فيه ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٤الجمعة).

لم اختص الله هذا الشهر بمزية دون ما سبقه من الشهور؟

---

١ كانت هذه الخطبة بالمسجد الكبير بمدينة فنارة محافظة الإسماعيلية يوم الجمعة الموافق ١٩٨٨/٣/٤م.

إن هذا الشهر كانت العرب حتى قبل الإسلام تخصه بالإحترام والتجلة والإكرام وكانوا يسمونه الشهر الحرام أي تحرم فيه المعاصي والذنوب والسيئات والآثام حتى كان الرجل العادي والجاهلي إذا قابل قاتل أخيه في شهر رجب يلفت وجهه إلى الجهة الأخرى ولا ينظر إليه بسوء احتراماً لحرمة هذا الشهر الكريم وإذا قابل من أساء إليه بقول أو فعل أو عمل تغاضى عنه أو تركه توقيراً وإحتراماً لهذا الشهر الكريم.

وجاء الأسلام وزادها توقيراً وتعظيماً وذلك في قول الله ﷻ ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ (٣٦التوبة)،فنهانا الله عن أن نظلم أنفسنا في هذه الأشهر الكريمة وهي الأشهر الحرم ومن ضمنها شهر رجب الأغر ..... وهنا سؤال ملح ... وكيف يظلم الإنسان نفسه؟ إن ظلم الإنسان لنفسه عند الله وعند رسول الله وعند كتاب الله وعند العلماء بالله هو أن يتجاوز الإنسان حدود الله ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾(١الطلاق)، أي إن الإنسان الذي يتعدى أي يتجاوز الحدود التي أعدها الملك المعبود للمعاملات وللأخلاق وللعبادات وللكمالات الإلهية فقد عرض نفسه للظلم الكبير الذي لا ينفع فيه وزير ولا شفيع ولا نظير لأن الأمر يتعلق بالملك الكبير ﷻ .

فإن كان الإنسان يرخي لنفسه العنان لترتكب بعض الهفوات أو بعض الزلات فإنه في هذا الشهر الكريم يجب أن يقبض بلجام نفسه بقوة الشريعة الإلهية ويجعلها مسخرة لأحكام رب البرية فلا تنظر العين منها إلا لما أحلَّه الله وإذا أرادت أن تلتفت إلى الحرام تقول لها: { النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ، مَنْ تَرَكَهَا مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ أَبْدَلَهَا اللَّهُ إِيمَانَاً يَجِدُ حَلاَوَتَهُ فِي قَلْبِهِ }[٢] .... يا أيتها العين !!! .... أما سمعتي خالقك وهو يقول:﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ﴾(٣٠النور).

وإذا أرادت الأذن أن تستمع إلى ما حرَّم الله من غيبة ونميمة وسبِّ وشتم وقول باطل قال لها يا أيتها الأذن: كوني كما قال الله ﴿ وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾ (١٢الحاقة)، والأذن الواعية هي التي لا تقع في معصية و فى الأثر: { المُغْتَابُ وَالمُسْتَمِعُ شَرِيكَانِ فِي الإِثْمِ }[٣].

فأنت إذا استمعت إلى المغتاب فأنت على إحدى ثلاث خصال: الأولى: إذا وافقته كنت شريكه على هذا الإثم وعلى هذا العمل وهذه الجريمة الشنعاء التي جعلها ربُّ الأرض

٢ روى في الترغيب والترهيب ومجمع الزوائد عن عبد الله بن مسعود.
٣ ورد فى الإحياء للغزالى وفى مراقى العبودية.

والسماء أقبح من إسالة الدماء ... أستمعوا إليه سبحانه إذ يقول : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾(١٢الحجرات).

والثانية أنت إذا نهرته عن الغيبة وقمت عنه؛ عرضت نفسك للسوء وللوقوع في عرضك ولارتكاب الإثم بسببك، والحل الثالث ولا غنى له هو قول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٦٨الأنعام)، أنك توطن نفسك ألا تجلس في مجالس الغيبة ولا مجالس النميمة ولا في مجالس اللهو في هذه الأيام المباركة لأن الله حرَّم فيها هذه المعاصي، وهذه المعاصي وإن كانت بالطبع محرَّمة طول العام ولكنها هذه الأيام أشد حرمة وأشد تحريماً وأشد وزراً عند الرحيم الرحمن ﷻ ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ (٣٦التوبة) ...

أي إن الإنسان يمسك بزمام نفسه وتجعلها تسير كما يريد الله وتمشي خلف رسول الله فالمكان الذي كان يحبه أجلسها فيه والعمل الذي كان يحبه يجعلها تعمله، ومن أخبرني بحبهم أجالسهم وأتقرب منهم ومن عرَّفني أنه يبغضهم أسارع إلى النفور عنهم ... ومن هنا نفهم معنى الآية ... فمن أرخى العنان لنفسه فقد ظلم نفسه لأنها بوقوعها في الذنوب تستوجب غضب علام الغيوب ... ونحن الضعفاء والمساكين أحوج ما نكون إلى نظرة رضا من رب العالمين .... فإنه لو غضب على أحد طرفة عين كانت حياته كلها نكد .... وكان قبره شعْلة من اللهب .... وكانت قيامته حسرة وندامة .... يوم لا تنفع الندامة ولا الملامة وكان مصيره كما تعلمون !! وكما تعرفون !! .

والدنيا كما قال الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه. **(الدنيا ساعة فأجعلها طاعة)** كلنا مسافرون وكلنا جاهزون للقاء الله ولا نعلم الميعاد ولا نعلم وقت السفر فعلينا أن نجهز الزاد والزاد الذي ينفع للميعاد وليس الأرصدة التي في البنوك ولا العمارات ولا الأراضين ولا الأولاد ولا البنين إلا إذا كانوا صالحين موفقين، لا ينفع إلا ما قال الله ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾ (١٧٩البقرة)، عليك أن تجعل لنفسك رصيداً عند ربك ينفعك ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٨،٨٩الشعراء) ....

هذا الرصيد أيها الحضور الكرام ... ما أسهله وما أيسره فإن التسبيحة الواحدة تعدل الدنيا من أولها إلى آخرها عند الله ولذلك عندما مر سليمان ابن داود ومعه جنوده وقد حملته الريح ونظر إليه رجل فقير في الأرض وتعجب، الريح تحمل البساط وعليه نصف مليون جندي من الإنس والجن غير الحيوانات والطيور لأنها كلها كانت مسخرة لسليمان فنظر إلى هذا الملك العظيم وقال ما أعظم ما أوتي سليمان بن داود. فحملت الريح تلك الكلمة إلى سليمان فأمرها أن تهبط بالبساط ودعا الرجل وقال له ماذا قلت يا عبد الله؟ ... فأخذته رهبة فخفف عنه وقال لقد قلت: ما أعظم ما أوتي سليمان بن داود فقال سليمان ﷺ : والله يا أخي لتسبيحة واحدة في صحيفة مؤمن خير وأعظم عند الله مما أوتي سليمان بن داود.

كلمة (سبحان الله) خير لك عند الله تجدها يوم القيامة في رصيدك خير لك من أن تضع في هذا الرصيد الدنيا كلها من أولها إلى آخرها ولذلك ينبئ الرسول الكريم عن الصفحة التي تثقل الميزان فيقول: { **والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ جِيءَ بالسَّمَاوات والأرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وما بَيْنَهُنَّ، وما تَحْتَهُنَّ، فَوُضِعْنَ في كَفَّةِ المِيزَانِ، وَوُضِعَتْ شَهَادَةُ أَنْ لا إِلهَ إلاَّ الله في الكَفَّةِ ألاخْرى لَرَجَحَتْ بِهِنَّ** }[٤]

ولذلك عندما كان سيدنا موسى في حالة المناجاة في حضرة الله فقال كما ورد بالحديث الشريف : { **يَا رَب عَلمْنِي شَيْئاً أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى قُلْ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ، قَالَ: يَا رَب، كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هذَا، قالَ : قُلْ لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ، قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ، يَا رَب إِنّمَا أُرِيدُ شَيْئاً تَخُصُّنِي بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ السّموَاتَ السّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي، وَالأَرَضِينَ السّبْعَ فِي كِفَّةٍ وَلاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ فِي كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِمْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ** }[٥].
كلمة هينة لينة ما أسهلها على اللسان وما أحبها إلى الرحمن وما أثقلها في الميزان يوم لا ينفع الإنسان إلا ما قدمت يداه.

فاتقوا الله عباد الله وامتنعوا عن المعاصي في هذه الأيام المباركة واستكثروا فيها من الطاعات وحركوا ألسنتكم بذكر خالق الأرض والسموات ماذا عليك لو قلت وأنت في الطريق تمشي لا إله إلا الله؟ ماذا عليك لو كررتها وأنت جالس في بيتك وأنت جالس في عملك وأنت راكب في مواصلتك؟ ماذا تكلفك وبماذا تتعبك؟

إنها دليل على توفيق الله للمؤمنين ففى الأثر المشهور قيل { **إذا أكرم الله عبدا ألهمه ذكره، وألزمه بابه وآنسه به** { حتى قال : { **لو علم المغترون بالدنيا ما فاتهم من حظ المقربين وتلذذ الذاكرين، وسرور المحبين لماتوا كمدا**[٦] }. ألهم لسانه ذكره ليكون كلامه أرباح، وليكون كلامه فلاح ونجاح، وليكون كلامه رضا لحضرة الكريم الفتاح، وليكون كلامه تكريماً له يوم القيامة، وإذا أبغض الله عبداً جعل لسانه بذيئاً ينطق بالألفاظ البذيئة ولا يتحرك إلا كالسوط يجلد هذا بكلامه، ويؤلم هذا بصراخه وسبابه، ويؤذي هذا بغيبته، ويفرق بين هذا وذاك بنميمته، إن هذا يكون على شاكلة إبليس لأنها أعمال إبليس، فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن الجوارح تخاطب اللسان كل صباح فتقول { **إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنّ الأَعْضَاءَ كُلّهَا تُكَفِّرُ الِّلسَانَ فَتَقُولُ: اتّقِ الله فِينَا فَإِنّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا** }[٧].

---

٤ رواه أحمد والطبراني والبزار من حديث ابن عمر.
٥ أبو يعلى فى مسنده وأبو بعيم فى الحلية والبيهقى فى السنن وغيرها عن أَبي سعيدٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ.
٦ الزهد الكبير للبيهقي رواية عن ذى النون ﷺ.
٧ سنن الترمذى وغيرها ، عن أبر سعيد الخدرى

كل صباح تجتمع أعضاءك وأنت لا تشعر وتحدث اللسان !!! لأن الإنسان لا يؤاخذ إلا بكلمات هذا اللسان وبأفعال هذه الجوارح وبنيّة القلب والجنان قال ﷺ: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هذِهِ الدُّنْيَا دَارُ الْتِوَاءٍ لاَ دَارُ اسْتِوَاءٍ، وَمَنْزِلُ تَرَحٍ لاَ مَنْزِلُ فَرَحٍ، فَمَنْ عَرَفَهَا لَمْ يَفْرَحْ لِرَخَاءٍ، وَلَمْ يَحْزَنْ لِشِدَّةٍ، أَلاَ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الدُّنْيَا دَارَ بَلْوَى، وَالآخِرَةَ دَارَ عُقْبَى، فَجَعَلَ بَلْوَى الدُّنْيَا لِثَوَابِ الآخِرَةِ، وَثَوَابَ الآخِرَةِ مِنْ بَلْوَى الدُّنْيَا عِوَضاً، فَيَأْخُذُ لِيُعْطِي، وَيَبْتَلِي لِيُجْزِي، فَاحْذَرُوا حَلاَوَةَ رَضَاعِهَا لِمَرَارَةِ فِطَامِهَا، وَاهْجُرُوا لَذِيذَ عَاجِلِهَا لِكَرِيهِ آجِلِهَا، وَلاَ تَسْعَوْا فِي عُمْرَانِ دَارٍ قَدْ قَضَى اللَّهُ خَرَابَهَا، وَلاَ تُوَاصِلُوهَا وَقَدْ أَرَادَ مِنْكُمُ اجْتِنَابَهَا، فَتَكُونُوا لِسَخَطِهِ مُتَعَرِّضِينَ، وَلِعُقُوبَتِهِ مُسْتَحِقِّينَ }[٨] أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبده ورسوله. اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم وأعطنا الخير وادفع عنا الشر ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون

أكرم الله المؤمنون في هذا الشهر فأخذ حبيبه ومصطفاه ﷺ في رحلته المباركة وأغدق عليه من نوره العام ومن صنوف الإكرام ما لم يعلمه إلا الملك العلام ﷻ .

في هذه الليلة ليعلمنا أن هذا الشهر هو شهر إكرام الله لعباده المؤمنين والذي قال في حقه سيد المرسلين {رَجَبٌ شَهْرُ اللَّهِ وَشَعْبَانُ شَهْرِي وَرَمَضَانُ شَهْرُ أُمَّتِي}[٩]

ومعنى شهر الله أي شهر العفو الإلهي ومغفرة الله وإحسان الله وإكرام الله لعباد الله لأن الله موصوف بهذه الصفات الكريمة وهو في كل ليلة من ليالينا يتنزل في الثلث الأخير وينادي علينا ويتعجب من لجوئنا لغيره وهو أقرب إلينا من حبل الوريد فيقول:

{ ألا مُسْتَغْفِرٌ فأغْفِرَ لَهُ ألا مُسْتَرْزِقٌ فأرْزُقَهُ ألا مُبْتَلًى فأُعافِيَهُ ألا سائِلٌ فأعْطِيَهُ ألا كَذا ألا كذا حَتَّى يَطْلُعَ الفَجْرُ }[١٠]

<< ثم الدعاء >>.

---

٨ الديلمى عن ابن عمر رضى الله عنهما.
٩ أبو الفتح بن أبي الفوارس من أماليه عن الحسن مرسلاً في كتاب جامع الأحاديث والفتح الكبير.
١٠ عن جبير بن مطعم عن أبيه وفي مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة.

الخطبة الثانية[11]

رجب شهر التوبة

الحمد الله رب العالمين غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير. سبحانه سبحانه يبسط يده بالنهار ليتوب مسيئ الليل، ويبسط يده بالليل ليتوب مسيئ النهار حتى تطلع الشمس من مغربها وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يحب التوابين ويحب المتطهرين ويفتح أبواب رحمته وسعة مغفرته للمنيبين والمستغفرين والموقنين ولا يقنط من رحمته المبعدين ولا الضالين ولا الحائرين ولا التائبين بل يقول للخلق أجمعين: { **يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ** }١٢. وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله رحمة الله المهداة لجميع خلق الله ونعمة الله المسداة لكل قلب اطمأن بالإيمان بالله.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد الوسيلة العظمى للمقربين والشفيع الأعظم للخلائق أجمعين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وعلى آله وصحبه أجمعين وكل من اتبعهم بخير إلى يوم الدين آمين.

أما بعد.. فيا أيها المؤمنون: روى حديثٌ عن رسول الله ﷺ يقول فيه { **رَجَبٌ شَهْرُ اللَّهِ وَشَعْبَانُ شَهْرِي وَرَمَضَانُ شَهْرُ أُمَّتِي** }١٣. ونحن الآن في شهر رجب فلم نسب الحبيب ﷺ هذا الشهر بالذات إلى الله مع أن الأشهر كلها والليالي والأيام جميعها والخلق والزمان والمكان بل والملائكة والإنس والجان كلها ملك للرحمن ﷻ؟ فلم نسب هذا الشهر بالذات إلى الله؟ لأنه شهر التوبة ... وهو الشهر الذي يخصه الله ﷻ بمزيد من المغفرة والرحمة لعباده المؤمنين ويفتح فيه أبواب التوبة وكنوز العفو ويسع الناس جميعاً باسمه الغفور الرحيم إذا أتو حضرته مبادرين تائبين منيبين إلى الله ﷻ.

فهذا الشهر هو شهر التوبة فالمؤمن الكامل الإيمان الذي يسمع عن الله كلامه في القرآن وسمع الله ﷻ وهو يقول ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾(٢٢٢البقرة)، يرعى سمعه هذا الخطاب فلم يقل الله ﷻ إن الله يحب التائبين لأنه لو قال إن الله يحب التائبين كانت التوبة لمرة واحدة في العمر فإذا تاب ثم رجع إلى المعاصي وتاب لم يقبل الله منه لكن الله فتح الباب

---

١١ كانت هذه الخطبة بمسجد السلام بمدينة ديرب نجم شرقية يوم الجمعة الموافق سبعة من رجب ١٤١٨ هـ الموافق ١٩٩٧/١١/٧م.
١٢ عن أبي ذر وفي المستدرك للحاكم حديث صحيح على شرط الشيخين.
١٣ أبو الفتح بن أبي الفوارس في آماليه عن الحسن مرسلاً في كتاب جامع الأحاديث والفتح الكبير.

للأحباب وقال التوابين أى بصيغة المبالغة .. يعنى كثيرى التوبة المداومين على التوبة، كلما أذنبوا ذنباً علموا أن هناك رباً يغفر الذنوب فرجعوا إليه تائبين فيغفر لهم هذا الذنب فإذا ضاقت بهم نفوسهم وساقتهم جوارحهم بعد التوبة للذنوب رجعوا مرة أخرى إلى الله وتابوا وأنابوا فيمن عليهم بالتوبة ﷻ إلى ما شاء الله.

قال ﷺ قال الله ﷻ في حديثه القدسي { لَوْلاَ أَنَّ الذَّنْبَ خَيْرٌ لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ مِنَ الْعُجْبِ مَا خَلَّيْتُ بَيْنَ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ وَبَيْنَ الذَّنْب }١٤. يعنى لولا أن الذنب يأخذ المؤمن من الغرور والإعجاب بنفسه فالذنب له خاصية فريدة وميزة عجيبة فإن المرء عندما يكرمه الله ويحافظ على الطاعة قد يغتر بنفسه ويظن أنه أصبح له شيئاً عند الله وأصبح له عمل يرجو نظيره من الثواب والرحمة من عند الله فيأتى الذنب فيعرفه بنفسه وأنه خطاء مذنب وأنه لولا أن يتداركه الله بعنايته ويغفر له خطيئته لغطت ذنوبه على حسناته.

إن الذنوب يفعلها المرء عامداً أو يفعلها المرء جاهلاً فالذي يفعله المرء جاهلاً لا يحاسبه عليه الله لقوله ﷺ { رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي: الْخَطَأُ، والسهو، وَالنسْيَانُ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ }١٥، فلو فعل الذنب ساهياً أو جاهلاً فإن الله يتوب عليه من قريب لا يحتاج منه أن يندم على ما فعل إذا علم أنه أذنب ويقر في نفسه بالخطأ ويعترف بين يدي مولاه ﷻ بهذه الغلطة والجناية فيتوب الله ﷻ عليه ...

أما الذي فعل الذنب عامداً متعمداً يعني يفعله ويعلم عند فعله أنه يرتكب ذنباً فلابد له من توبة نصوح هذه التوبة حتى ولو كان قضى عمره كله في طاعة الله فإن عمله الصالح طول عمره لا يعادل هذا الذنب ولا يستوجب بحسناته هذه غفران الله وتوبة الله ﷻ، فإن إبليس عبد الله إثنين وسبعين ألف سنة حتى ورد فى الأثر: { ما من موضع شبر في السموات السبع إلا ولإبليس فيه سجدة لله ﷻ }، ثم عصى الله بذنب واحد مرة واحدة عندما أمره بالسجود لآدم فأبى ورفض السجود أبى واستكبر؛ ولهذا قال الله ﴿ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٨الأعراف)، من ذنب واحد تركه الله لأنه عمله متعمداً ويعلم أنه يرتكب الذنب ... وأن هذا إثم كبير لم تشفع له طاعاته الطويلة ولا عباداته الكثيرة لله ﷻ .

فالذنب الذي يحرص المؤمن على عدم الوقوع فيه؛ هو الذنب الذي يعلم مقدماً أنه مخطئ عند الوقوع فيه وأنه يقابل الله ﷻ بالعصيان فيه ! والخطأ الأكبر من ذلك إذا تباهى

١٤ جامع الأحاديث والمراسيل ورواه الشيخ عن كليب الجهنى.
١٥ عن ثوبان في الفتح الكبير، وابن ماجة وابن حبان والحاكم في الدرر المنتثرة.

بتلك المعصية ! وجاهر بها بين المؤمنين! يجاهر بالفواحش والمنكرات ويظن أنه بذلك له شرف بينهم وسيصير له مكانة من الفتوة أو ما شابهها مثلهم، وكل هذا يقول فيه ﷺ : { كُلُّ أُمَّتِي مُعَافىً إِلاَّ الْمُجَاهِرُونَ }١٦. والمجاهر هو الذي يتباهى ويفتخر بالذنب ويقول للناس مثلاً إني ضحكت على فلان وأخذت منه في هذه البيعة ألفين جنيه، أو ضحكت على فلان وجعلته يكتب لى عقد على قطعة الأرض بمبلغ زهيد ومش عارف قيمتها، أو ضحكت على فلان وأخذت منه المكان الفلاني وأعطيته بدلاً منه آخر لا ينفع ولا يشفع !! ويعتقد أن ذلك من باب الشطارة والمهارة والفهلوة ... أو يقول .. أنا كتفت فلان زوج ابنتى بمبلغ مائة ألف جنيه ووقع ولم يأخذ باله كل هذه الأشياء وأمثالها التى باهى المرء بفعلها !! لا مغفرة لها إلا إذا تاب توبة نصوحاً وأخذ يضرع إلى الله فيها ويبكى بكاءاً شديداً من أجل محوها ويعاهد الله ﷻ على تركها وعدم العود ما عاش إلى مثلها ويطلب منه بذلة وخشوع وانكسار أن يمحوها على أن لا يعود إلى مثلها أبداً ... فإذا عرف الله صدقه وصحة عزمه وصفاء إرادته وصدق قوله تقبل الله توبته ومحا الله حوبته بل ربما يدخله في قوله ﷻ ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَـٰتٍ ﴾ (٧٠الفرقان) ...

لكن المؤمنين جعلوا شهر رجب للتوبة لجميع المؤمنين من ماذا؟ من الأشياء التي نقع فيها ولا نفطن لها .. فإن الذي ذكرناه يحتاج إلى التوبة في الحال .. ولا يجوز للمرء أن يسوف ويؤخر لأنه لا يعلم عاقبته، أما التوبة في شهر رجب فمن الذنوب التي لا يفطن إليها المرء ولا يعتبرها ذنباً ونأخذ منها على سبيل المثال:

كل لحظة تمر عليك وأنت غافل فيها عن ذكر الله فالغفلة عن ذكر الله ذنب لا نعتبره ولا نحاسب أنفسنا عليه في هذه الحياة وهى تحتاج إلى توبة صحيحة ومن لم يتب منها يقول يوم القيامة كما أنبأ الله ﴿ يَـٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ (٥٦الزمر)،

كل نفس مر عليك في لهو ولعب وفي جلوسك غافلاً متغافلاً في غير ذكر الله فهو ذنب يستحق من المرء أن يتوب إلى الله ﷻ منه، لا ندرى بهذا الذنب، على أننا لا نعلم عن الذنب إلا أنه تعدى ما حرم الله لكن نسينا أن الغفلة ذنب يقول فيه الله ﷻ ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ (٣٦الزخرف).. الذى يغفل عن ذكر الله يجعل الله له شيطاناً قريناً ... يوسوس له ويخنس له ... فالغفلة عن الله وعن ذكر الله ذنب يستوجب التوبة منا جميعاً.

١٦ عن أبي قتادة الأنصاري رواه الطبراني في الصغير والأوسط.

يا عباد الله الطاعة التي نحن فيها الآن كالصلاة تحتاج منا إلى خشوع قلب وحضور نفس من أولها إلى آخرها فإذا غفل الإنسان فيها ولابد أن ذلك يحدث كأن يتذكر البيت وما فيه أو الشارع وما به أو حوار حدث بينه وبين إنسان أو مشكلة بينه وبين الجيران فيجد نفسه وقد انتهى من الفاتحة أو التشهد لأنه انتهى من قرآتها ولا يدري ما دار وقد قال ﷺ : { إنّما يُكْتَبُ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلاتِهِ ما عَقَلَ مِنْهَا } ١٥٣. فاللحظات التي يسهو فيها المرء عن الله تحتاج إلى توبة حتى يتقبلها الله ولذلك كان من سنة رسول الله ﷺ مع صحبه الكرام أن يستغفروا الله ﷻ عقب كل صلاة. لم يستغفرون وقد خرجوا من الطاعة؟ من التقصير والغفلة والسهو الذي حدث لهم أثناء الصلاة.

مثال آخر: نحن والحمد لله أكرمنا الله بالصلاة لكن إذا سمعت الآذان وأنا في بيتي أو في عملي وقد انتهيت من أدائه وجالس على المكتب أتحدث مع رفاقي أو في الطريق أو في السوق علي أن أترك كل ما في يدي لألبي نداء الله في الوقت والحال ....

فإذا فعلت – كما يحدث من أغلبنا، أؤخر الظهر حتى يقترب العصر بدون عذر شرعي أو أؤخر المغرب إلى مقربة من العشاء بدون عذر شرعي والأعذار بينتها شريعة الواحد القهار وفصلها لنا المختار ﷺ ....

يا أيها المسلمون والمسلمات هذا الذى ذكرنا هو ذنب ولكننا لا نحاسب أنفسنا عليه وإن الله عاتب قوماً فيه فقال: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾(٤، ٥الماعون)، الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، والذين يجملون الصلاة مع الصلاة، والذي يؤخر الصبح إلى أن تطلع الشمس ويصليه قضاء ولا يندم ولا يحس بأسى على ما فعل ولا على أنه فعل شيئاً قبيحاً في نظر الله مع أنه ذنب كبير سيعلم عاقبته يوم لقاء الله ﷻ ... لماذا؟

لأنه قال لنا أجمعين ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ (١٠٣النساء)، الوقت الذي حدده الله لابد أن نقيم الصلاة فيه إلا إذا كان هناك مانع شرعي من مرض قاهر أو سفر أو حادث في الحال كحريق أو غريق أو ما شابهه ولابد من الإسراع في علاجه لكن ما دمت جالساً أتحدث ما عذري؟ لماذا لا لأتوقف وأقول له تعالَ نصلي ثم نرجع نكمل حديثنا؟ لماذا لا أقول للمسلم إذا زارني هيا بنا نؤدي الصلاة ثم نرجع نكمل ما كنا نخوض فيه؟ وأن الصلاة لا عذر للمرء في تأجيلها أو تأخيرها إلا إذا وافق العذر ما بينه رسوله ﷺ.

مثال آخر: نصوم في شهر رمضان عن الأكل والشرب والجماع ولكننا لا نصوم عن اللغو وقد لا نصوم عن النظرة المحرمة وقد لا نصوم عن الكذب وقد لا نصوم عن الغيبة والنميمة ونظن أن صومنا صحيحاً وقد قال ﷺ: { خَمْسُ خِصَالٍ يُفَطِرْنَ الصَّائِمَ: الْكَذِبُ،

وَالْغِيبَةُ، وَالنَّمِيمَةُ، وَالنَّظَرُ بِشَهْوَةٍ، وَالْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ }١٧.

مثال آخر: أرسل الله إلينا خير كتاب وأمرنا بتلاوته ولم يشق علينا في قراءته بل قال لنا أجمعين ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ (٢٠المزمل)، وإذا كنا لا نتذكره إلا في رمضان فهذا ذنب في حق أنفسنا يحاسبنا عليه الديان ﷻ كيف لا نسوي على الأقل – وهذا لا يجوز – بين تلاوة القرآن وتصفحه وتصفح الصحف والمجلات التي فيها كذا وكذا من شرور هذه الحياة!! فمثل هذا ذنب لا يشعر به الإنسان !!!!

وهذه القائمة طويلة لا نستطيع عدها كلها وحسبنا ما أشرنا إليه من بعضها من الذنوب التي لا يفطن إليها المرء ويقع فيها ولا يحسبها ذنوباً، إن هذه كلها تحتاج منا في شهر رجب أن نتوب منها أجمعين إلى الله ﷻ فقولوا جميعاً: تبنا إلى الله، ورجعنا إلى الله، وندمنا على ما فعلنا وعلى ما قلنا، وعزمنا على أن لا نعود إلى ذنب أبداً، تبنا إلى الله من كل ذنب صغير أو كبير، علمناه أو جهلناه، فيما مضى أو فيما بقى لنا من عمرنا، أو كما قال أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي فتح لنا الأبواب بفضله وهداه ونظرنا بعين عنايته وبره ورضاه وملأ قلوبنا بحبه وحب مجتباه وجعلنا أهلاً للمحل الأعز فأوقفنا بين يديه في بيته جل علاه ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يقبل على المقبلين ولا يغلق الباب أمام المعرضين بل يفتح لهم أبواب التوبة في كل وقت وحين وأشهد أن سيدنا مُحَمَّد عبده ورسوله إمام الهدى ونبي البر والتقى. اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد... فيا أخي المؤمن لا تغفل عن التوبة إلى الله في كل نفس فليس كل ذنب عملته عرفته فربما تكون هناك ذنوب عند علام الغيوب ولم تعلم بها ولم تحاسب نفسك على فعلها ولذا قال الله لنا أجمعين ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣١النور)، كلكم تتوبون ....

وبين هذه الحقيقة النبي الأمين فقال ﷺ: { كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ } ولم يستثنِ، ماذا نفعل؟ بيَّن فقال: { وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ }١٨ يعني الذي يديمون على التوبة فيشعر المرء في كل وقت وحين .. وهذه هي حقيقة التوبة، ليست التوبة أن تقول استغفر الله، فهذا

١٧ في تخريج أحاديث الإحياء العراقي: أخرجه أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث عمار بن ياسر بنحوه.
١٨ عن أنس بن مالك في منتخب بن حميد ورواه الترمذي وابن ماجة والدرامي وفي مسند الإمام أحمد.

ذكر يعطيك الله نصيبك من الحسنات مقابل قولك، بل إن التوبة أن تشعر في داخلك بأنك قصرت وأنك أخطأت وأنك أجرمت وأنك خالفت الله ﷻ ... ومن منا بلغ مبلغ الكمال فلا يخالف ذي الجلال والإكرام في لحظة واحدة في هذه الحياة؟ في الحقيقة كلنا مقصرون لأننا لم نبلغ المقام العظيم ....!!!

من منا يصلي الصلاة من أولها إلى آخرها في حضور وخشوع مع مولاه؟ أين هذا يا عباد الله من منا يحفظ لسانه من الزلل فلا يقول كلمة نابية أو جائرة إلى هذا أو ذاك ولا يتركه يسكت لحظة عن ذكر المليك الخلاق؟ مَنْ منَّا يحفظ قلبه من الخواطر السيئة فلا يدخل فيه بغض ولا كرب ولا حقد ولا غش ولا غل لأحد من المسلمين أو الناس أجمعين؟

هذا شئ لا نستطيعه أجمعون فالعبد التائب إلى الله والذي يستشعر أو يشعر في كل وقت و حين – مهما فعل من الصالحات ومهما قدم من الخيرات – أنه مقصر في حق الله ﷻ وإذا كان الملائكة المطهرين الذي يقول فيهم الله ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٦التحريم)، ومنذ خلقهم وهم في طاعته لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يسهون ولا يغفلون، ومع ذلك يقولون يوم القيامة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك !!

وإذا كان الحبيب ﷺ بعد أن نال أعظم وسام في المغفرة من الله وقال فيه الله في محكم آياته:﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ (٢الفتح)، ومع ذلك كان عليه أفضل الصلاة وأتم التسليمات :

{ إِذَا صَلَّى، قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ (تتورم) رِجْلاَهُ.... قَالَتْ عَائِشَةُ رضى الله عنها : : يَا رَسُولَ اللّهِ أَتَصْنَعُ هذَا، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ أَفَلاَ أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً؟ }١٩

وحتى الذي حفظه الله وعصمه الله يشكر الله على عصمة الله ويشكر الله على حفظ الله فما أحوجنا جميعاً في هذا الشهر الكريم إلى مغفرة الله، استغفروا الله آناء الليل وأطراف النهار واستغفروه بقلوب منكسرة وأجسام خاشعة ورءوس خاضعة، حتى يتقبل الله ﷻ منا أجمعين ويصلح شأننا وينقلنا إلى أحسن حال.

<< ثم الدعاء >>.

١٩ عن قتادة عن أنس وفي رواية عن المغيرة بن شعبة حديث حسن ورواه الترمذي في الشمائل من حديث جابر وفي الباب عن عبد الله بن جحش، وأنس بن مالك وأبي هريرة وعائشة ﭫ.

الخطبة الثالثة[٢٠]

حديث القرآن عن الإسراء

الحمد لله ربِّ العالمين، الأحدي الذات، الأبدي الصفات، الصمديّ في جلاله وعزته، من قبْل القبْل إلى ما بعد نهاية النهايات، سبحانه سبحانه، لا تحيط به الجهات، ولا تستطيع أن تعبر عن ذاته الكلمات، ولا العبارات، بل ولا تلحق بجلال عزته الإشارات، استوى على عرشه بما شاء، وكيف شاء، لأنه ﷻ في عزته منزه عن جميع الأشياء لا يحلّ في الأشياء ولا تحل فيه الأشياء بل إنه ﷻ كما قال عن نفسه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (١١الشورى)، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. قُرْبه من العرش كقربه من الفرش، فكما أنه ﷻ ما مسَّ الترابَ ولا حَسَّهُ ولا جَسَّهُ ولا لامَسَهُ، فهو ﷻ ما مسَّ العرش ولا حسَّهُ ولا جسَّهُ ولا لامسَهُ، وإنما العرش محمول قدرته ومعمول حكمته وهو محمول بقدرته ﷻ لأنه ﷻ تعالى عن الأشياء، كما تعالى عن الجهات، كما تعالى عن الأزمان ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٨٢يس).

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله. هذبه الله وصفاه، وشق صدره وأخرج منه قلبه وطهره ونقاه، وملأه بالأنوار الربانية، والحكم الروحانية التي هيئه بها للإطلاع على العوالم الغيبية، حتى صار قاب قوسين أو أدنى في مقامات القرب من الله ﷻ .... اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد صاحب لواء الحمد وسر اللواء المعقود لجميع الرسل، للوفاء بالعهود، وباب الله ﷻ لكل عبد يريد أن يهتدي لطريق المعبود، ومفتاح باب الخلود لمن كتب الله ﷻ لهم السعود. اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه صلاة تمنحنا بها سكينة في نفوسنا، ومننا في قلوبنا، ونوراً في أرواحنا، وتجعلنا بها من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، آمين، آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد... فيا أيها الأخوة المؤمنون: أخذت أتأمل في العبارات الموجزة التي وصف الله بها ﷻ رحلة الإسراء والمعراج، والموافق يومها اليوم الذي نحن فيه، فاحترت وتعجبت لأن هذه البرقية القصيرة التي لا تزيد عن سطر ونصف، جمعت فأوعت، جمعت كل شئ يتعلق بهذه الرحلة، سواء عن صاحبها، أو ما دار من الخلاف بين المختلفين من بعده، هل كان بالروح أو بالجسم أو بهما معاً؟ وسواء فيما يتعلق بكيفية رؤيته لهذه الحقائق في هذه البرهة من الزمان، كل شئ يتعلق بهذه الرحلة المباركة ذكرته هذه الكلمات القصيرة ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ

٢٠ كانت هذه الخطبة في مسجد الأنوار القدسية بالمهندسين جيزة يوم الجمعة الموافق ٢٧ من رجب ١٤١٢هـ الموافق ١٩٩٢/١/٣١م.

لَيْلاً مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (١الإسراء).

فأول شُبهة يعترض عليها أصحاب العقول وردّدها المستشرقون فيما بيننا لأنهم يحكمون بعقولهم في الأشياء ولا يدرون أن العقل الذي يحكمون به لا يعلمون عنه إلى يومنا هذا قليلاً ولا كثيراً ... أين العقل؟ وكيف يعمل العقل؟ وكيف تُخزّن المعلومات في العقل؟ وكيف تُستحضر الصور من العقل؟ والمناظر والألفاظ المصاحبة لها من العقل؟ لا يعرفون حتى يومنا هذا لا قليلاً ولا كثيراً عن هذا الأمر. عرفوا المخ وهو الذي يُسيّر الجهاز العصبي في جسم الإنسان، لكن العقل بما فيه من ذاكرة، وما فيه من حافظة، وما فيه من قوة خيال، وما فيه من قوة تصور، وما فيه من إدراك، أين هو؟ لا يعلمون ولن يعلموا إلا إذا علَّمهم الله ﷻ وكاشفهم ببعض ما فيه، فإذا كنا لا نعلم شيئاً قليلاً أو كثيراً عن العقل فكيف نحكّم العقل فيمن صنعه؟ وكيف نحكم بهذا العقل على من خلقه؟ وكيف نجعله حاكماً على من أوجده؟

إن هذا لهو الضلال البعيد الذي وقع فيه الكافرون، وأرادوا أن يرددوه بيننا جماعة المؤمنين، ولكن الله ﷻ يحفظ عباده المؤمنين من الزيغ، لأنهم يقولون في كل وقت وحين: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ (٨آل عمران). فبدأ الله العبارة بكلمة سبحان الذي أسرى أي نزّهوا الذي أسرى عن الحركات وعن الحيطات وعن الجهات .... يعني إياكم أن يخطر ببالكم أن الله فوق سبع سموات وأن محمَّداً ﷺ وصل إلى مكان فيه الله !! تعالى الله عن هذا الأمر، وتنزه عن هذا الوصف، فإن الله ﷻ موجود في كل الجهات ومحيط بكل الأزمنة والأمكنة، ورسول الله كان يراه وهو على بطحاء مكة، كما رآه في قاب قوسين أو أدنى !!! وإنما المطلوب في هذه الرحلة أن يصل الحبيب إلى مقام في القرب من الله، لم يصل إليه عبدٌ من عبيد الله، الذين اجتباهم الله واصطفاهم الله ﷻ، هذا هو المراد وليس معنى ذلك أن الله فوق فإنه فوق الفوقية وإنه تحت التحتية وإنه في أيمن اليمين، وإنه في أيسر اليسار، وإنه أمام كل أمام، وخلف كل خلف، بل إنه أقرب إلى كل إنسان من حبل وريد الإنسان.

فنسب الله ﷻ الإسراء إلى ذاته لنعلم أن الذي أسرى بعبده ومصطفاه، هو الله ﷻ، وما دام الله هو الذي أسرى فلا عجب، لأن قدرة الله صالحة لكل شئ وتصنع كل أمر بسر قوله سبحانه ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٨٢يس). انتهى العجب لأن الرحلة نسبت إلى الله ﷻ.

هل كان بالروح أو بالجسم؟ كلام أثار جدلاً كثيراً ردده الكافرون وصدروه إلى جماعة

المؤمنين، والله أجاب عنه بألطف عبارة وإشارة، فقد قال ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾ وكلمة عبد معناها جسم فيه روح وفيه عقل وفيه قلب، وفيه كل الحقائق التي فينا الآن، إما إذا خرجت الروح من الجسم نسميه نسمة وإذا كان الإنسان روح بلا جسم نسميها نسمة (نسمة يعني روح بلا جسم) ولذا وجد ﷺ في السماء الأولى آدم عليه السلام ، وعن يمينه نسمة يعني أرواح لم تخلق بعد، وعن يساره نسمة يعني أرواح لم تظهر إلى الوجود بعد، فإذا نظر إلى من على يمينه ضحك، وإذا رأى من على يساره بكى. قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذه أرواح بني آدم ونسمهم فإذا نظر إلى أهل اليمين ضحك وفرح، وإذا نظر إلى أهل الشمال بكى وحزن، فالروح بمفردها نسميها نسمة، ولا تظهر بالعين المجردة ولا نستطيع أن نجالسها ولا أن نحادثها ولا أن نلامسها ولا أن نصنع معها كما نصنع مع بعضنا الآن فلما قال الله: ﴿ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾ كان معنى ذلك أنه بالروح والجسد.

أخوانى المسلمين والمسلمات ...هذا هو سر إعجاز هذه الرحلة وإلا فلو رأى إنسان في منامه فيما يرى النائم، أنه لفّ العوالم كلها وشاهد كل ما فيها من عجائب صنع الله ومن آيات قدرة الله هل نكذّبه؟ هل نعترض عليه؟ لا أحد يعترض عليه ولا يكذبه، لأنه رآه في المنام، أما اعتراض الكفار عندما أخبرهم أنه ذهب بروحه وجسده ورجع، ولذا قالوا له تغْدوا إلى بيت المقدس وترجع في أقل من لمح البصر ونحن نضرب أكباد الإبل إليه شهراً ذهاباً، وشهراً إياباً !!!!

وهو ﷺ لم يخبرهم بالمعراج بعد وإنما أخبرهم بالإسراء فقط في البداية علهّم يصدقوه وعلهّم يسلّموا لكنهم لم يسلموا وهنا أظهر لهم بعض الآيات الحسية التي تدل على صدقه، لقد سألوه عن وصف البيت – وقد دخله ولكن لم يشاهده من الخارج – فرفعه الله عز وجل إليه على يد جبريل عليه السلام وأخذ يديره حتى يصف لهم الأبواب باباً باباً، والنوافذ نافذة نافذة، وهم مع ذلك أعماهم الله، فلم يصدقه إلا الصديق، ثم قال لهم إن إبلكم كانت في مكان كذا وقد شربت مما معهم من الماء وهل تشرب الروح الماء؟ إن الذي يشرب هو هذا الجسد، ولما رجعت هذه الإبل أخبروهم، قالوا: نعم، كان معنا ماءاً في جَرّة وعندما كشفناها وجدنا الماء الذي بها قد نفد ولم نجد حولها ماءاً يدل على أنه قد سُكب، فاحترنا من الذي شربه؟ وكان الذي شربه هو رسول الله ﷺ.

ثم هذا البراق الذي ركبه وهل الروح تركب؟ إن الروح الأمين وهو جبريل عليه السلام كان يهبط من فوق سدرة المنتهى إلى الأرض ويصعد في أقل من لمح البصر لا يعترضه شئ ولا يمنعه شئ، وإنما الركوب يكون لهذا الجسم، فهو الذي يحتاج إلى يركبه، فدل الله عز وجل بهذه الكلمة الموجزة أن هذا العبد وهو ﷺ أخذه الله عز وجل بروحه وجسمه ليطلعه على ملأه الأعلى، وعلى

عوالمه الظاهرة والخفية حكمة من الله ﷻ لا تتجلى إلا للقلوب التقية النقية.

(الذي أسرى بعبده ليلاً) ولو لم يقل الله ﷻ كلمة ليلاً، لظن البعض أن الإسراء تحقق في أسبوع، أو في شهر، أو في أقرب من هذا أو أقل، لكن كلمة ليلاً تفيد أنه ذهب في هذه الليلة ورجع فيها، لأن تنكير هذه الكلمة يدل على أنه ليل واحد، فالليل الذي ذهب فيه هو الليل الذي رجع فيه، والأمر كله تم في بعض من هذه الليلة الواحدة بنص كلام الله ﷻ.

ماذا رأى؟ ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ ﴾ الآيات التي في الملك، والآيات التي في بيت المقدس، والآيات التي في السموات، والآيات التي في العرش، والآيات التي في الكرسي، والآيات التي في الجنة، والآيات التي في النار، والآيات التي في كل العوالم، داخلة في قول الله ﷻ ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ ﴾ وهنا تتعجب العقول كيف ذهب إلى بيت المقدس ثم صعد إلى السموات، سماءاً تلو سماء وما بين السماء والأرض بقدر سفر خمسمائة عام، وبين كل سماء والأخرى قدر سفر خمسمائة عام وعرض كل سماء قدر سفر خمسمائة عام !!، كيف ذهب إلى كل هذه الأماكن والجهات وما بينها، وشاهد كل ما في عوالم الجنات ورجع وفراشه الذي كان ينام عليه لم يبرد بعد، بل ظل دافئاً، كأنه لم يفارقه إلا لحظة قصيرة !!!! إن الإنسان منا لو استيقظ من ليلة وذهب إلى المرحاض، ليقضي حاجته وأطال بعض الوقت، يرجع فيجد مكانه في الفراش وقد برد لأنه لا يستمر دافئاً إلا للحظات قليلة !!!

وحتى لا نتعجل قال الله ﷻ ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ يعني { **كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا** }٢١. فكان في هذا الوقت يبصر بنور الله ويسمع بنور سمع الله ويتكلم مع كل هذه الحقائق لأنه كلم جميع الأنبياء والمرسلين، وكل نبي له لغة كلغة قومه، وتكلّم مع جميع أصناف الملائكة، ولكل صنف منهم لغة مخصوصة، علمها لهم الله ﷻ، بل تكلم مع الحقائق العالية مع العرش ومع الكرسي، ومع الجنات، بلغاتها كيف كان ذلك؟ إن الله ﷻ أعطاه نوراً من نوره في بصره، فجعله يبصر ببصر الله، وأعطاه نوراً من عنده فى سمعه فصار يسمع كل هذه الأصوات فى مختلف الجهات بسمع الله ﷻ، وأعطاه نوراً من عنده في لسانه، فصار يتكلم مع الجميع في وقت واحد، على اختلاف لغاتهم ولهجاتهم.

وهذا أمرٌ لا يعجب له المؤمن، لأن الله يقول في الحديث القدسي لنا معشر المؤمنين فضلاً عن الأنبياء والمرسلين: { **ومَا يَزَالُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنوافلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ**

٢١ رواه البخاري في الصحيح عن مُحَمّد بن عثمان بن كرامة، عن أبي هريرة رواه الطبراني في الكبير.

كنتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، ويَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا، ورِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي عَبْدِي أَعْطَيْتُهُ، ولَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ}٢٢، فإذا كان هذا يتفضل به الله على عباد الله المؤمنين العاديين، فما بالكم بسيد الأولين والآخرين؟

هذه العبارة يا إخواني لفتت نظري فلو جمعت وسائل الإعلام في العالم كله بمختلف أجهزتها وما معها من وسائل تكنولوجية وقوى عصرية على أن ترسل برقية تشرح فيها هذه الرحلة بمثل هذه الكلمات النورانية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، لكنه صنع الله وأمر الله يحكي هذه القصة الغريبة العجيبة، ويرد على كل ما دار في أذهان المؤمنين وغيرهم بكلمات قصيرة، وألفاظ يسيرة، وهذا إعجاز القرآن الذي نزل به الحنّان المنّان على النبي العدنان ﷺ.

قال ﷺ: { التائب حبيب الرحمن، والتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ }[٢٣].

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين حمداً يليق بجمال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جملنا بجمال العبيد المقربين بحكمه العلية والمسلمين لأنواره وحكمه الربانية، وأرجو منه رضاه عنا ﷻ في الحياة الدنيوية وسعادته في الحياة الأخروية، وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبد الله ورسوله اختاره الله لرسالته ورباه الله على عينيه وجعله نبياً خاتماً واختاره لنا وجعله إمامنا في الدنيا وشفيعنا في الدار الآخرة.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد صلاة تذهب عنا بها الغفلات وتحي قلوبنا فيها بآيات الله البينات وتجعلنا بها نتعلق بكل حركاتنا وسكناتنا بنور الله النازل إلينا. آمين. آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد..فيا إخواني وأحبابي: إني أهيب بنفسي، وأهيب بكم أن تطالعوا قبساً من أسرار هذه القصة بتدبر وتفكر فإن فيها الشفاء لكثير من أمراضنا الاجتماعية، وفيها الدواء لكثير من مشاكلنا النفسية والعائلية، وفيها الحل الأمثل للقضاء على ما نحن فيه من نكد العيش، ومن هموم الأمراض ومن تعب الأولاد ومن سلوك الأفراد، كل هذه الأشياء دواؤها ذكره سيد الأنبياء ﷺ في هذه الرحلة المباركة.

---

٢٢ عن أبي هريرة في الفتح الكبير وصحيح البخاري.

٢٣ أخرجه ابن ماجة عن ابن مسعود والديلمي عن أنس وابن عباس والطبراني في الكبير عن أبي سعيد الخدري.

ودعونا نذكر مثالاً واحداً ولا نطيل عليكم، لو اتبعناه لسعدنا جميعاً في هذه الحياة، فقد قال ﷺ: { رأيت جُحْراً صَغِيراً يَخْرُجُ مِنْهُ ثَوْرٌ عَظِيمٌ فَيُرِيدُ الثَّوَرُ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ حَيْثُ خَرَجَ فَلاَ يَسْتَطِيعُ قلتُ: مَا هذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هذَا الرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ فَيَنْدَمُ عَلَيْهَا فَيُرِيدُ أَنْ يَرُدَّهَا فَلاَ يَسْتَطِيعُ }٢٤. كل مشاكلنا سببها هذه الكلمة، فلو استطاع الإنسان المسلم أن يمسك لسانه إلا عما ينفعه .... فلا يخرج منه القبيح ولا يخرج منه السبّ ولا الشتم ولا اللعن ولا الغيبة ولا النميمة ولا الكذب ولا قول الزور ...، ماذا يكون حالنا في مجتمعنا؟

إن المحاكم والله ستُغلق أبوابها في ذلك الحين. لأن المشاكل كلها بدايتها كلمة. كلمة يقولها إنسان تُحرك إنساناً آخر فيرد عليه بالمثل ثم يتطاول الأمر فتمتد الأيدي ثم يتطاول الأمر فتظهر الأسلحة ثم يكون القتل أو الجرح وتكون القضية وتكون النيابة وتكون المحاكمات، ما أغنانا عن هذا كله لو أمسكنا بألسنتنا حتى لا يحدث هذا بيننا، ربما يكون أفراد الأسرة جالسين في هناءة بال وفي صفاء حال وواحد منهم يقول كلمة واحدة تعكر هذا الصفو بل تقلب البيت رأساً على عقب. كلمة من غير موضعها أو كلمة في غير محلها لكن لو التزمنا بهذه الأوامر الإلهية وكنا كما قال الله ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ (٢٤الحج). فالمؤمنون هداهم الله إلى القول الطيب فلا يقولون إلا الكلام الحسن لأن المؤمن لا ينطق بالكلمة إلا قبل أن يفكر فيها ويتدبر فيها، فإذا كانت له وفي كفة حسناته أخرجها وإذا كانت ستصير عليه وفي كفة سيئاته منعها من الخروج قال ﷺ: { رَحِمَ اللَّهُ عَبْداً قَالَ خَيْراً فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ }٢٥.

وكم من كلمات رفعت أناساً إلى أعلى الدرجات إذا كانت هذه الكلمات لرفع الروح المعنوية وللحث على هذه المنازل العلية. وكم من كلمات هزّت كيان بشر وجعلتهم يتعرضون للجنون أو يتعرضون للصرع أو يتعرضون للأمراض النفسية من كلمة واحدة.

جراحات السنان لها التئام ولا يلتئم ما جرح اللسان

وَقْع الكلام أشد على الإنسان من وقع السهام، فلو أمسك المؤمنون بألسنتهم لطابت حياتهم ولسعدوا في معيشتهم، ولصاروا والخيرات تغمرهم من جميع النواحي، لأن الله ﷻ جعل مجتمع المؤمنين مجتمع الكلمة الطيبة، مجتمع الكلمة الصالحة، أما الكلمة الخبيثة والكلمة السيئة فهي في مجتمع الكافرين، وفي مجتمع الجاحدين وفي مجتمع المنكرين لا تصل عدواها للمؤمنين

٢٤ رواه البخاري.
٢٥ في الزهد عن خالد بن أبي عمران مرسلاً في الفتح الكبير وجامع الأحاديث.

إلا إذا تهاونوا بأوامر هذا الدين المتين، وما داموا متمسكين بأوامر هذا الدين أسرهم ونساؤهم وأولادهم حتى يروا ما في هذه السيرة العطرة وما في هذه الحادثة الكريمة من عبر وعظات لعّلها تكون نجاة لنا من أهوال هذه الحياة الدنيا...

وقد سبقنا المستشرقون إلى هذا الأمر فقد أخذوا منها ونهلوا وأعدوا ووضعوا كتباً أبرزتها وسائل الإعلام في العالم كله فبعضهم كتب كتاباً سماه (كيف تكتسب صديقاً) ووزّع هذا الكتاب ووزع منه في الطبعة الواحدة ما يزيد عن ٣ ملايين نسخة وبعد الاطلاع على ما فيه وجدنا أن كل ما فيه هو نسخة من أحاديث رسول الله ومن تفسير آيات الله أخذها الكاتب الأمريكي ونسبها إلى نفسه على أنه هو المبتكر لها والمؤلف لها وعلى أنه هو الذي يضع أصولاً جديدة للصداقات وتكوين الأصدقاء، وهكذا الأمر فكل أمورهم قد أخذوها من الإسلام غير أنهم غيرّوا المسمى ونسبوها لأنفسهم، فعلينا جماعة المسلمين أن نرجع إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ ففيه الخير لنا في هذه الحياة والسعادة لنا عند لقاء الله، نرجو الله ﷻ أن يصلح أحوالنا، وأن يفقهنا في ديننا، وأن يلهمنا رشدنا < ثم الدعاء >.

الخطبة الرابعة

الإسراء وعلاج مشكلات المجتمع[٢٦]

الحمد لله ربِّ العالمين، خلق الإنسان وهو أعلم به من نفسه، يعلم سره وعلانيته، ويعلم ما تُخْفي الصدور، ويعلم ما يُصلح حاله وشأنه، ويحدّد أسباب فساد نفسه، ومجتمعه وبيته، ويضع لكل داء دواء، وهو ﷻ وحده الذي بيده رفع الداء، وتحقيق الشّفاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له من توكل عليه كفاه، ومن رجع إليه في أمر من الأمور كفاه أمور دنياه وآخراه، سبحانه سبحانه، هو وحده الذي يشرح الصدور، وييسر الأمور، فسبحان اللطيف الخبير الذي أنزل لخلقه كل ما فيه نفعهم وشفاؤهم.

وأشهد أن سيدنا مُحَّمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، أعطاه الله عيناً من عنده نظر بها إلى خلقه، فعلم الداء وتضرع إلى الله طالباً الدواء، فأخذه عنده ﷻ وعلمه الأدوية النافعة لجميع البشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَّمد، طبّ القلوب ودوائها، وعافية الأبدان وشفاءها، ونور الأبصار وضيائها، وسراج الأرواح وهديها، وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

٢٦ خطبة الجمعة بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين – جيزة في ذكرى الإسراء والمعراج يوم الجمعة ٢٢ رجب ١٤١٣هـ – ١٩٩٣/١/١٥م.

أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابي.. عندما نقرأ سورة المعراج نجد الله ﷻ يقسم لنا وما كنا في حاجة إلى القسم لأنه أصدق القائلين، وخير المتكلمين ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (٨٧النساء)، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلاً ﴾ (١٢٢النساء)، ولكنه لإذهاب الوساوس التي تدور في الصدور، والخواطر السيئة التي ترد على العقول في شأن هذه المعجزة الإلهية أقسم فقال: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ﴾(النجم) يعني كل كلمة تكلمها رسول الله ﷺ عن رحلته المباركة فإنما هي وحي من الله ﷻ، وإنما هي إلهام من الله ﷻ ، وكل تعليمات جاء بها في تلك الرحلة، وكل أوامر تلقاها في تلك الرحلة، إنما هي غاية الصواب وحكمة العلي الوهاب، ما ضل صاحبكم فيما جاء به من عند ربه، وما تحرك بغواية نفس ولا بهواية طبع ولا بشئ يجول في خاطره وإنما كما قال الله ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾ (١٠٥الإسراء).

ثم كان الأمر كذلك، وهذه الرحلة جاءت للبشرية كلها منه صلوات الله وسلامه عليه، ومنذ زمانه إلى قيام الساعة، لحل معضلاتها، فقد كان من حوله من المسلمين الأولين يعانون من العداء، ومن ألم العتاب، ومن قرع الخطاب من الكفار والمشركين، وكانوا يذهبون إليه ويسألونه متى ينتهي عنهم هذا الأمر، فجاءهم بعد هذه الرحلة بالبشرى، وقال لهم: ابشروا فقد أُرِيتُ دار هجرتكم وهي أرض ذات نخل، ففرحوا واستبشروا وعلموا أن الله معهم ومحيط بهم، لأنه أراه المدينة وأراه نخلها وأراه دورها، وأراه كل شئ فيها، لكي يبشرهم ﷺ في المشكلة التي أرقت بالهم وشغلت نفوسهم، وهي متى يرتاحون ويعبدون الله وهم آمنون، ويطمئنون ولا يخافون، ونحن في عصرنا لكي نقصر عليكم المسافة: ما علاج مشكلات مجتمعنا؟ وما علاج مشكلات نفوسنا؟

لو دعونا كل فلاسفة الأرض واجتمعوا ما شاء الله لهم أن يجتمعوا وبحثوا في نفوس طبقات المجتمع، لم يستطيعوا أن يهتدوا إلى الحل الصحيح لأنهم لا يعرفون ما توسوس به الصدور، ولا يقرأون ما يجول في العقول، لكن الله وحده الذي يعلم سرائرنا، ويعلم خفيات ضمائرنا، هو الذي يملك الحل الوحيد لكل ما نحن فيه من متاعب وآلام، والله ﷻ لأنه خلقنا يعلم ما يدور في زماننا، كما يعلم ما يدور في الزمان الذي بعدنا، وكما يعلم ما كان في الزمان الذي قبلنا، لأن علمه بما سيكون، وبما هو كائن كعلمه بما هو كان جل وعلا، لأنه ينظر بعينه، وهو وحده السميع البصير ﷻ، ماذا علم لنبينا من أجواء ومشكلات مجتمعنا؟

إن كل ما نحن فيه من متاعب في الطرقات أو في الأعمال أو في البيوت أو في القرى أو في المدن أرجعها الله لنبيه إلى أربعة أشياء: الأولى: الكلمة، فقد رأى ثوراً عظيماً يخرج من جحر ضيق في صخرة ثم يحاول أن يرجع مرة أخرى فلا يستطيع، فقال ما هذا يا أخي يا جبريل؟

قال: هذه الكلمة العظيمة يتفوه بها الرجل من أمتك ثم يندم عليها ويحاول أن يرجع فيها فلا يستطيع، الكلمة! وأكثر مشكلات مجتمعنا من الكلمة، فبها الوشاية من المرءوسين إلى الرؤساء، وبها النميمة والوقيعة بين الإخوة والأصدقاء، وبها تتغير النفوس، وتتغير القلوب، وتمتلئ بالحقد والضغينة على الأحباب، يكون الإنسان يضمر لأخيه غاية المحبة، فيأتي واشٍ أو نمام ويبلغه عن أخيه كلمة سمعها أو لم يسمعها فيتغير في الحال، وينقلب الحب إلى بغضاء، وينقلب بعد ذلك إذا زاد إلى حقد وشحناء، حتى أنه ربما ينقلب إلى كراهية وعداء، فيفكر في كيفية تحطيمه والقضاء عليه، بعدما كان يفكر في تيسير السبيل له وتهيئته كل الأمور له للمحبة التي بينهما، لو نتبع يا إخواني هدى الإسلام وقوانين الإسلام في الكلام !!!

ويسأل سائل وهل للإسلام قوانين في الكلام؟ نعم لكننا لا نسأل عنها ولا نبحث عنها، اسمع معي إلى قوانين الإسلام في الكلام، أما القانون الأول مع الناس جميعاً مشركهم وكافرهم وجاحدهم كل الناس يقول لنا فيهم رب الناس ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (٨٣البقرة)، كلموهم الحسن، وليس بالكلام القبيح، وليس بالكلام الكريه لأنه حتى ولو كان عدوك فقد قيل فى الأثر: { **اتقوا غيظ القلوب ولو في البهائم** }. لا تجعل أحداً يغتاظ منك والغيظ في العادة يكون بسبب كلمة أو سلوك غير مرغوب فيه، فأمرنا الله أن نحسن الكلمة حتى مع غير المؤمنين، أما مع المؤمنين ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (٢٤الحج). هذا هو الأمر الأول تخفف عنهم عند الضيق، ونرفع روحهم المعنوية من اليأس، ونزيل الهموم والغموم من صدورهم، ونرفع الحزن والأسى من قلوبهم ونعينهم على مشاكلهم، كل هذا من ماذا؟ من الكلمة. وهذه الكلمة الطيبة جعلها الله ﷻ من رياض الجنة وأعطانا رسول الله ﷺ مبشراً لأهميتها فقد قال ﷺ: { **إِنَّ العبدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمةِ من رضوانِ الله** } الكلمة الطيبة الصالحة { **يرفعه الله بها في الجنة سبعين خريفاً** (يعني سبعين سنة) **وإِنَّ العبدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمةِ من سَخَطِ الله لا يُلْقِي لَهَا بالاً** } من فتنة أو وقيعة أو خديعة { **يَهْوَى بِهَا في جَهَنَّم سبعين خريفاً** (أي سبعين سنة) }[27]

ولذا يا إخواني فكلكم تعرفون أنه عندما كان رسول الله بين أصحابه وانتقل إلى جوار ربه ومشى أصحابه على هديه لم يكن عندهم محكمة واحدة، ولا قاضٍ يفصل بينهم ولا محامٍ يدافع عن حقوقهم لأنهم ملكوا الكلمة، فملكوا ناصية الأمور فلم يحتاجوا إلى مرافعات ولا دفاعات ولا مخاصمات لأن كل تلك الأشياء تبدأ من الكلمة حتى أن مصائر الشعوب تتعلق بكلمة ربما يكون شعبٌ مغلوبٌ على أمره وضعيف و يتفوه رئيسه بكلمة تودي بحياة شعبه.

---

٢٧ عن أبي هريرة في صحيح البخاري ومسند الإمام أحمد.

فالكلمة يا إخواني هي المصدر الأول والسبب الأول في فساد المجتمع وإصلاحه، والمؤمن وصفه رسول الله ﷺ فقال في شأنه { رَحِمَ اللَّهُ عَبْداً قَالَ خَيْراً فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ }٢٨. لا يتكلم إلا بحساب لأن الله يقول: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (١٨ق)، فهو يعلم أن كل كلمة ستسجل عليه إما في ميزان حسناته، وإما في صحف سيئاته، فلا يتفوه بكلمة قبل أن يزنها بالميزان الذي أنزله له الحنان المنان وهو العقل، فيعرض الكلمة على عقله، وعقله مستضيئ بشريعة ربه، فإذا وافقت شرع الله ووافقت عادة الناس المرعية التي يعرفها العقل أخرجها وتفوه بها، وإذا كانت مخالفة لشرع الله ولا تلائم العادات المتبعة في أعراض الناس، لم يتفوه بها، وأمسك لسانه حتى لا يكون على هذه الصورة القبيحة التي وصفها رسول الله ﷺ.

الأمر الثاني وسأذكره باختصار حتى لا أطيل عليكم وهو تحمل المسئوليات فقد رأى ﷺ رجلاً يحمل حملاً عظيماً من الحطب ولا يستطيع أن يحمله، ولا يستطيع أن يسير به، وهو مع ذلك يزيد عليه وهذا ما يحدث في زماننا يريد كل رجل أن يجمع عدة وظائف في قبضته لماذا؟ هل عددنا قليل؟! أو هل كوادرنا غير موجودة؟!

الأعداد كثيرة والكوادر كثيرة والشباب كثير في كل تخصص وديننا يؤمن بالتخصص الدقيق، والرسول ﷺ مع أنه كان يوحى إليه من ربه إلا أنه لم يجمع الأمور في قبضته بل وزع التركة على الأصحاب وقال: { أَرْحَمُ أُمَّتِي أبو بكرٍ، وأَشَدُّها في دِينِ الله عُمَرُ، وَأَصْدَقُها حَياءً عُثمانُ، وَأَعْلَمُها بالحلالِ وَالحرَامِ معاذُ بنُ جَبَلٍ، وأقرَؤُها لكتاب الله أُبيٌّ، وأعْلَمُها بالفَرَائِضِ زَيْدُ بنُ ثابتٍ، ولِكُلِّ أُمَّةٍ أمينٌ، وأمينُ هذهِ الأمّةِ أبو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرّاحِ }[29] مع أن كل هؤلاء تعلموا منه لأنه المعلم الأول ﷺ بل إنه كان يستشيرهم ويقول لهم: { أما إن الله ورسوله لغنيان عنها ولكن جعلها الله تعالى رحمة لأمتي فمن استشار منهم لم يعدم رشداً ومن تركها لم يعدم غياً }[30].

فعلمهم ﷺ التخصص وحدد المسئوليات. فالرجل له مسئولية، والمرأة لها مسئولية، والخادم عليه مسئولية، وقال في مقدمة المسئوليات: { كُلُّكُمْ رَاعٍ. وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ }٣١. ثم وضح مسئولية الرجل ومسئولية المرأة، ومسئولية الخادم حتى لا يوجد رجل في الإسلام يستبد بالأمور ويلغي شخصية الزوجة، هذا ليس في الإسلام، وأمر الرجل أن يدرب أبناءه من

---

٢٨ في الزهد عن خالد بن أبي عمران مرسلاً في الفتح الكبير وجامع الأحاديث.
٢٩ مسند الإمام أحمد، وسنن الترمذى وصحيح ابن حبان عن أنس رضي الله عنه
٣٠ أخرجه ابن عدي والبيهقي في «الشعب» عن ابن عباس، وأوله (قال: لما نزلت ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ قال رسول الله ﷺ : { الحديث}.
٣١ عن ابن عمر في صحيح مسلم والبخاري ورواه الطبراني في الأوسط والصغير عن أنس بن مالك وعن عائشة رضي الله عنها.

الطفولة فإذا بلغ الولد سن الرابعة عشر قال له (صاحبه) يعني اجعله لك أخاً وعلمه السلوك الحميد في المجتمع، كيف يكسب؟ وكيف يحصل على الأرزاق؟ وكيف يشارك في الأفراح؟ وكيف يواسي في الأحزان؟ وكيف يود الأقرباء؟ وكيف يحمل هموم الأخوة؟ حتى يخرج رجلاً بمعنى الكلمة، فالإسلام يؤمن بالتخصصات ولذا أمر المسلمين أن يحمل الواحد منهم ما يستطيع حمله، والذي لا يستطيع أن يقوم به إذا حمله يعتبر خان الأمة وخان نفسه وخان دين الله ﷻ، لأنه حمل نفسه ما لا يستطيع.

المبدأ الثالث يا إخواني هو التعامل، فقد رأى ﷺ أناساً { **قد وكل بهم رجال يفكون لحيهم وآخرون يجيئون بالصخر من النار يقذفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتمى ظلما** }[٣٢] وهذه آفة المعاملة في مجتمعنا، إن الذي يغش في بيعه وشراءه يأكل أموال الناس بالباطل، والذى يخادع يأكل أموال الناس بالباطل، والذي يرائي يأكل أموال الناس بالباطل، والذي ينصب أو يحتال أو يغش هذا بالطبع تعلمون أنه يأكل أموال الناس بالباطل ... والله أيها المسلمون لو طبق المسلمون هذا المبدأ لكان ثروة كبيرة، لو حرص كل مسلم على اللقمة الحلال لنفسه ولذويه وأهله لانصلح حال مجتمعنا، فالعمل يكون بشرف بين التجار، ولا يكون جشع بين أصحاب رءوس الأموال، ولا نجد كذباً في مجتمعنا، ولا انعدام أمانة في محلاتنا، ولصار أولادنا أذكياء بالفطرة، مطيعين بالسليقة، بررة بآبائهم وأمهاتهم قائمون بما يرضي خالقهم وإلههم، يؤدّون الأعمال ويتقنونها لله، لأنهم يتعاملون مع ذات الله ﷻ.

السبب الرابع والأخير ويثور بسببه كثير من المشاكل، قال ﷺ: { **فإذا أنا بأخاوين عليها لحوم منتنة وأخاوين عليها لحوم طيبة وإذا رجال ينتهبون اللحوم المنتنة ويدعون اللحوم الطيبة فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال هؤلاء الزناة يدعون الحلال ويتبعون الحرام** } [٣٣] ، والمعنى طبعا لا يقصد به الرجال فحسب بل الرجال والنساء !! وهذه الظاهرة كما تعلمون جميعاً هي سرّ ما نعانيه الآن من خطف للإناث، وانتهاك للأعراض ومشاجرات تنتهي بالقتل أحياناً وتنتهي بالسجن أحياناً وأشياء وأشياء لا ترضي الله ﷻ ....!!!

كل هذا يمكننا أن نقضي عليه بآية واحدة من كلام الله. قال فيها الله ﷻ ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلاً ﴾ (٣٢الإسراء)، لم يقل (لا تفعلوا الزنا) بل قال ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ﴾ لأن الإسلام وضع من الحدود والضوابط ما به تتم هذه العملية في مجتمع الإسلام كيف؟ ..

[٣٢] مسند الحارث عن أبي سعيد الخدرى
[٣٣] مسند الحارث عن أبي سعيد الخدرى ﷺ.

لا يجتمع رجل مع امرأة لا تحل له، ولا تسافر إمرأة إلا مع ذي محرم ولا تنام البنت مع أخيها بعد سن عشر سنين، بل لابد أن يكون هناك مكان للبنت ومكان للولد مع أنهما إخوان ويجعل الله ﷻ ضوابط كثيرة وكثيرة منها: لا تدخلوا البيوت حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها، ولا تدخلوا على المغيبات ، قالَ ﷺ: { إِيّاكُمْ والدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ، فقَالَ رَجُلٌ: يَا رسول الله أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قالَ: الْحَمْوُ المَوْتُ } [٣٤] يعني الرجل القريب الذي يدخل على حماته .. أخت امرأته .. أو أم امرأته فهو الموت !! يعني حتى ولو كانت أخت زوجته لا يدخل عليها البيت إذا كانت بمفردها، يدخل ومعه زوجته، أو يدخل ومعه أولاده، أو يدخل عندما يكون معها أولادها الكبار العاقلين أو معها زوجها، وهكذا ...

فلو تتبعنا هذه الآثار وعرفناها ونفذناها لم تحدث الفاحشة في مجتمعنا أبداً، وإنما الذي يُزيّن هذه الفاحشة ما نجده في مجتمعنا من أفلام للعراة يعرضها الفيديو على فتياتنا وعلى شبابنا وصوراً عارية [٣٥]تباع في مجلاتنا ومجلات عارية تروج في مجتمعاتنا وغيرها من وسائل الاختلاط التي نراها من ضرورة العصر ومن أسباب مدنية العصر التى انتشرت ويحارب الغرب بكل طاقاته لفرضها على مجتمعات المسلمين تحت مسميات مختلفة فيصور الذي لا يوافق على هذا الاختلاط المرذول إنسان رجعي وإنسان متأخر بل ومن تشجيع الفتيات والفتيان على ممارسة الجنس قبل الزواج وتعليمهم كيفية التوقى من الحمل ...

ولكن الحقيقة أن من يجاريهم فى هذا ويوافق على الاختلاط المنهى عنه هو الذي يجني مغبتّه ويقع فيما حذره منه الله ﷻ، فإن هؤلاء القوم الكافرون لا أخلاق لهم والله ﷻ يعاملهم معاملة خاصة بهم، ويعاملنا معاملة خاصة، فعندما قال لهم: (لا تقربوا الزنا) وأباحوه رزقهم بالسيلان ورزقهم بالزهري فصنعوا العازل الواقى والوسائل العازلة للحمل وظنوا أنهم استطاعوا أن يتغلبوا على إرادة الله فأتاهم الله بالإيدز (مرض نقصان المناعة المكتسبة)[٣٦] حتى لا يستطيع الرجل أن يقرب حتى من زوجته إلا إذا عرضها على الطبيب وحصل على شهادة من الطبيب بأنها خالية من هذا الميكروب الخبيث، هذه الأمور أغنانا الله عنها ووقانا منها بإتباع شريعة الإسلام. وهكذا يا إخوان لو انتشرت بيننا الكلمة الصادقة الطيبة وانتشرت بيننا المعاملة الإسلامية الحلال وانتشر بيننا الرضا بما قدر ذو الجلال ولا يحمل الإنسان ما فوق طاقته وتتبعنا أوامر الله بالحفاظ على الأعراض لم يحدث في مجتمعنا مشكلة واحدة بل سيكون المجتمع الذي يقول فيه الله ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً

---

٣٤ عنْ عُقْبَةَ بن عَامِرٍ، سنن الترمذي وصحيح مسلم وغيرها وفِي الْبَابِ عنْ عُمَرَ وجَابِرٍ وعَمْرو بن الْعَاص

٣٥ وبالطبع ماشاع الآن مما يسمى الفيديو كليب ومما انتشر على الإنترنت من الفجر والعرى والفجور مما فاق الحد والخيال.

٣٦ والآن بدأ ظهور مرض "تآكل اللحم "وهو أفتك من الأيدز وهم محير للعلماء ولكنه لا يصيب إلا الشاذين جنسياً والله من ورائهم محيط.

طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٧النحل).

قال ﷺ {التائب حبيب الرحمن، والتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ}[٣٧].

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، العليم الخبير، العلي القدير، الذي خلق كل شئ فقدره وأحسن تقديره، وصور كل صورة فأحسن تصويرها، ووضع لكل حقيقة ما به نفعها وسعادتها يوم لقاء ربها عز وجل.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ومولانا مُحَمَّداً عبده ورسوله. اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم، وأعطنا الخير وادفع عنا الشر، ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابي تحدثنا عن المشاكل الاجتماعية فما وسائل العلاج للمشاكل الشخصية التي تجتاح البشرية والتي صورها علماء النفس بأنها عقد تجتاح بعض الناس ولا يجدون لها علاجاً؟

كل الأمراض النفسية وكل الأمراض العصبية منشأها من عدم التوازن في حياة هذا الإنسان، فإذا كان الإنسان متوازناً في حياته، متوازناً في سلوكه فإن الله عز وجل يحفظه من الأمراض النفسية والعصبية. كيف يحقق هذا التوازن؟ بأن يقيم علاقة بينه وبين الله ويكون ذلك في الصلاة التي أتى بها رسول الله ﷺ. نحن والحمد لله كلنا نؤدي الصلاة، لكننا نؤديها والمطلوب منا أن نقيم علاقة بيننا وبين الله يعني عندما يقف الإنسان بين يدي الله يناجيه يتكلم فيسمعه ربه، ويتكلم الله عز وجل فيسمعه ... { قَالَ الله تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ. وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: { الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ } قَالَ الله تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: { الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ }. قَالَ الله تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي (وفى رواية: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي) فَإِذَا قَالَ: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }. قَالَ: هذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ }. قَالَ: هذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ }[٣٨] يعني مناجاة تدور بين الإنسان وبين الله عز وجل.

إن الإنسان الذي تعتريه مشكلات كثيرة في دنيا الناس يتعب ويكد ويكدح ليقابل

٣٧ أخرجه ابن ماجة عن ابن مسعود والديلمي عن أنس وابن عباس والطبراني في الكبير عن أبي سعيد الخدري.
٣٨ صحيح مسلم وكثير غيره عن أبي هريرة رضي الله عنه

المسئول وبمجرد أن يحظى بمقابلة المسئول عن هذه المشكلة ويعرضها عليه حتى ولو لم يحلها وإنما يعطيه وعداً بحلها تذوب همومه وكربه وضيقه ويخرج منشرح الصدر، والله ﷻ يطلب منك أن لا تلجأ إلى سواه وأن تعرض عليه كل الأمور التي تلم بك في هذه الحياة وهو يحلها بطريقته الخاصة، لكن لا تشك ولا ترتاب لأنه يرزق من يشاء بغير حساب، لو أقام الإنسان منا علاقة بينه وبين مولاه.

حافظ على إقامة الصلاة، فحافظ على الخشوع والخضوع بين يدي الله في الصلاة إن مثل هذا لن تنتابه أمراضاً عصبية ولن يعكر صفوه مشكلة نفسية ولن تجد شيئاً يعكر باله بل يعيش هانئ النفس، مرتاح البال وماذا يبقى لعبد لا يحتاج إلى شئ إلا ويقول يا ربَّ فيجد الله ﷻ قد فرج كربه وقد قضى حاجته في الحال، مثل هذا كيف يعتريه الملل؟ مثل هذا كيف يصيبه هم أو نصب؟ كان ﷺ كما تروي عنه السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها أنه كان ﷺ { إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى }٣٩ وفزع إلى الصلاة فيرفع الله عنه الهم ويكشف الله عنه الكرب، وقال الله ﷻ لنا ولمن قبلنا ولمن بعدنا ﴿ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ (١٥٣البقرة)، استعينوا على أمور الدنيا وعلى المشاكل وعلى الأرزاق وعلى كل شئ بالله ﷻ.

<< ثم الدعاء >>.

الخطبة الخامسة[٤٠]

جمال الدعاء في الإسراء

الحمد لله ربِّ العالمين، نحمده ﷻ ونستعينه، نحمده على أن هدانا للإيمان وجعلنا مسلمين، ونستعين به ﷻ في كل أمر من أمورنا حتى نكون على نهج الرسول الأمين، ونستعين به ﷻ أن يوفقنا في حياتنا وسلوكنا حتى يختم لنا جميعاً بالإيمان ويتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو وحده الذي بيده مقاليد كل شئ، بيده الضر وبيده النفع، وبيده الخير، وبيده العفو والعافية، وبيده المنح والعطايا، وبيده كل أمر يتعلق بالكائنات لأنه ﷻ هو واهب الحياة لنا، وهو مدبّر أمورنا ومصرّف أقدارها وهو على كل شئ قدير.

---

٣٩ سنن أبي داوود عن حذيفة.

٤٠ كانت هذه الخطبة بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين – جيزة يوم الجمعة الموافق ٢٥ من رجب ١٤١٤هـ – ١٩٩٤/١/٧م.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، اختاره الله ﷻ مثالاً لأهل طاعته، ونموذجاً قويماً لأهل مودته، وأمرنا أن نتأسى به في هديه وسيره وسيرته وقال لنا فيه ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١الأحزاب). اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد الأسوة الحسنة للمقربين والقدوة الطيبة للصالحين وصاحب لواء الشفاعة الأعظم للخلائق أجمعين حتى النبيين والمرسلين، وعلى آله وصحبه وكل من اتبع هداه إلى يوم الدين.

أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابي كيف نتأسى بسيدنا رسول الله في إسرائه ومعراجه؟ نحن جميعاً علمنا كيف نتأسى به في الملبس، وكيف نقتدي بهديه في المطعم، وكيف نكون كحاله في المشرب، وكيف ننفذ هيئته وسنته في المشي والكلام ومعاشرة الزوجات والأولاد والجيران والأقارب وغيرها من خصال البر والخير، لكن كيف نتأسى به في الإسراء والمعراج؟

فنحن جميعاً نعتقد أن هذا أمرٌ قد خصه به الله ولم يخص به أحدٌ سواه ولو مِنْ أنبياء الله ورسل الله عليهم السلام أجمعين. لكن يا إخواني الأمر سهل ويسير والله عزوجل يضرب لنا المثل جميعاً لحضرة البشير النذير ﷺ. فنحن نسير في ضروب هذه الحياة نتعرض للمشاكل ونتعرض للمصائب ونتعرض للمتاعب ونتعرض لفنون وألوان من تعب النفس أو من قلق القلب أو من عذاب الضمير أو غيرها من أنواع الآلام النفسية أو الاجتماعية أو الأسرية. ما العلاج الأمثل لهذه الآلام؟ وما المفتاح السحري الذي يقضي على كل هذه المواجع والمشاكل في لمح البصر أو في طرفة عين أو أقل؟

مهما تعرضنا لصنوف البلاء ولأنواع الإيذاء فلن نتعرض لما تعرض له سيد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه، فمن مكث في قومه أو في بلدة عشرة سنين يدعوهم إلى الله ويأمرهم بتوحيد الله، وينهاهم عن عبادة الأصنام والأوثان، لا يطلب منهم مالاً ولا يطلب منهم جاهاً أو سلطاناً، ولا يطلب منهم مكانة أو منزلة على هذا الأمر، بل إنما يقول لهم كما قال الله عنه وعن جميع أنبياء الله ﴿ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (٧٢يونس)، ومع ذلك كذّبوه ولم يكتفوا بذلك بل سبّوه وشتموه وعابوه وجرحوه وأهانوه ولم يكتفوا بذلك بل كانوا يقّلبون العرب والملأ والقبائل عليه ويقبّحون صورته ويشنّعون على دعوته ويتهمونه بما لا يستطيع واحدٌ منّا أن يتحمل تهمة واحدة منها في حياته الدنيا !!

ولم يكتفوا بذلك بل أخرجوه وطردوه فذهب إلى الطائف يرجو خير أهلها، ويدعوهم إلى الله ﷻ، لكنهم قد أرسلوا قبْله من يحرّضهم عليه، فقاموا بإيذائه حتى خرج من البلد وعند خروجه من البلد أمروا من عندهم من العبيد والصبيان أن يطاردونه ويسبّونه ويشتمونه

ويقذفونه بالحجارة حتى دَميت قدماه الشريفتان صلوات الله وسلامه عليه، كل هذا في سبيل تبليغ دعوة الله وتنفيذ أمر الله ﷻ ،فينزل عليه إلهام الله فى الحال بماذا يصنع؟

فرفع الأمر إلى الله لأنه يعلم أن تسيير دفة الأمور كلها بيد الله ﷻ. ولو شاء لهدى الناس جميعاً لكنه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء لحكمة يعلمها ﷻ في علمه الأزلي ولن نعلمها جميعاً إلا يوم العرض والجزاء، فندرك حكمة ذلك فيمن يشاء ﷻ . فرفع الأمر إلى الله واستجار بالله وقال فيما أنبأنا عنه الرواة { **اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي وَقِلَّةَ حِيلَتِي وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي ؟ إِلَى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي أَمْ إِلَى قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ تَكُنْ سَاخِطاً عَلَيَّ فَلاَ أُبَالِي غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الْكَرِيمُ الذِي أَضَاءَتْ لَهُ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَأَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ أَنْ تُحِلَّ عَلَيَّ غَضَبَكَ، أَوْ تُنْزِلَ عَلَيَّ سَخَطَكَ، وَلَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ** }٤١ ... مفتاح عظيم فتح به النبي الكريم أبواب الإجابة في السماوات ففتحت أبوابها وتحركت جنودها ووقفوا جميعاً على أهبة الاستعداد وقدموا طلبات إلى المنعم الجواد يستأذنونه في النزول لتنفيذ أمر هذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه. هذا المفتاح يا إخواني سلمه الله ﷻ لرسوله وألهمه به وسلمه ﷺ لنا، فلا يقع واحد منا في كرب ولا تصيبه نكبة ولا يلم به شدة فيتوجه بهذا الدعاء إلى الله إلا وتفتح له أبواب السماء في الحال وتنزل له من عند الله جنود لا يعلمها إلا الواحد المتعال، تكون طوع أمره، ورهن إشارته لأنه تأسى برسول الله ﷺ.

فإنه ﷺ ما كاد ينتهي من الدعاء .. واسمعوا لقوله ﷺ : { **فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي. فَقَالَ: إِنّ اللّهَ ﷻ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيّ. ثُمّ قَالَ: يَا مُحَمّدُ! إِنّ اللّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ. فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ** (جبلين محيطين بمكة)، **فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً** }.٤٢ وهكذا علّمنا وأدّبنا، علمنا ألا ندعو حتى على أعدائنا في وقت الشدة فضلاً عن أنفسنا وفضلاً عن أهلينا وفضلاً عن أموالنا وفضلاً عن أبنائنا فقال ﷺ: { **لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَوْلاَدِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى خَدَمِكُمْ،**

---

٤١ عن عبد الله بن جعفر، رواه الطبراني في مجمع الزوائد.
٤٢ صحيح مسلم عن عائشة ﵂ .

وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لاَ تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً نِيلَ فِيهَا عَطَاءٌ فَيُسْتَجَابَ لَكُمْ } ٤٣.، وهنا وقفة جانبية : بعضنا – وهذا يحدث كثيراً – عندما يُصيبه همٌّ أو غم أو كرب يدعو بأن يتوفاه الله أو يدعو بأن يصيبه بالبلاء والأمراض أو يدعو بأن ينتقم منه الله وهذا أمرٌ منافٍ لسنة الإسلام يا إخواني .... يعني يقول الرجل: (ربنا يموّتني ويريحني منكم)، عندما يتعبه أولاده، أو يقول لزوجته: (ربنا يأخذني ويريحني من وشّك) !! مثل هذا الكلام نسمعه كثيراً وهي أيضاً تقول لأولادها عندما يغضبونها :(ربنا يريحني منكم)، يعني ربنا يموّتني، أو :(ربنا يعمل فيّ كذا وكذا علشان أبعد عنكم ولو حتى أروح السجن أو مستشفى الأمراض العقلية أو فى مصيبة!!!) .. أهذا يصحُّ يأيها المسلمون ؟ هذا أمرٌ لا يليق.!!!!

وكذا الدعاء على الأموال كأن يحاول الإنسان مثلاً أن يدير سيارته فلا تدور فيدعو عليها فيقول لها (ربنا يوقف حالك)، وهذا الكلام نسمعه كثيراً ألا تدري أنه إذا أوقف حالها فإنه يُوقف حالك أنت، وأنت الذي تتعب وتتعرض للمشاق، ما الأفضل؟ أن تقول لها ربنا يوقف حالك أم تقول لها ربنا يهديك أو ربنا يصلح شأنك؟ فالمؤمن يا إخواني لا يدعو على أحد أبداً بل يدعو بالهداية فيدعو لزوجته بدلاً من أن يدعو عليها، فلا يقول لها: ربنا يخلصني منك أو ربنا يريحني منك بل يقول لها: ربنا يصلح حالك، ربنا يهديك، ربنا يحسّن أخلاقك، ربنا يكرمك ويضع الإيمان والتقوى في قلبك. وبدل أن يدعو على أولاده يدعو الله لهم بالهداية، ويدعو الله ﷻ لهم بالإيمان، ويدعو الله ﷻ لهم بأن يقوموا بأوامر الله، ويتأسوا بسنة سيدنا رسول الله.

هذا هو مبدأ الإسلام يا إخواني، ولو عادى الإنسان منا إنساناً لا يدعو عليه قال ﷺ: { مَنْ دَعَا عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ فَقَدِ انْتَصَرَ } ٤٤، يعني أخذ حقه، فالذي دعا ولو كان مظلوماً يكون أخذ حقه يعني لا يجب عليه أن يرفع قضية على هذا الظالم يوم القيامة إن شاء الله، ولو رفع القضية فإن إدارة الحكمة الإلهية تسقط دعواه لأنه دعا على هذا الظالم بالويل والثبور والنكبات والأمراض وغيرها في هذه الحياة، فلا ترفع لك القضية ولو على ظالم إلا إذا كنت لم تنتصر عليه إلا بالله، وكنت كما قال نبي الله موسى عليه السلام ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (٤٤غافر).

ولذا لما كان ﷺ يدعو لقومه لم يدعو عليهم مع أنهم ظلموه على اليقين وآذوه وكلكم تعلمون وتتأكدون ولكن كان يقول لهم وعليهم:

---

٤٣ عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، صحيح مسلم – باب حديث جابر الطويل – وفي صحيح ابن حبان عن جابر بن عبد الله.
٤٤ عن عائشة رضي الله عنها في مسند أبي يعلي.

{ اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ }٤٥، فبدلاً من أن أدعي على خصمي بأن يهلكه الله أو ينتقم منه الله، ادعوا الله أن يهديه ويعرفه الحق ويجعله يمتثل به، أدعو الله ﷻ أن يرده لطريق الهداية حتى يبصر الحلال، ويمشي فيه ويترك الحرام. أدعو الله أن يبصره بأمره حتى يكون على بصيرة من نفسه وعلى بصيرة من أمره وحتى لا يفعل معي أو مع غيري ما يغضب الله ﷻ.

لماذا ينهانا الله عن الدعوة على الظالمين؟ لأني ربما أظن أنه ظالم وهو في نظر الله مظلوم وأنا لست أدري، وربما يكون معه حجة لم أعرفها وله وجهة نظر يرضى عنها الله وإن كنت أنا لحظي أو لهواي أو لغرض في نفسي لا أرضى عنها!، فإذا أجاب الله دعوتي فقد ورد فى الأثر { **القاتل بدعائه كالقاتل بسيفه** }، وقتله الله استجابة لدعائي! يُحاسبني على ذلك يوم القيامة ويسألنى كيف ولماذا؟ يحاسبنى على أنني قتلت فلاناً لأن دعوتي مستجابة وهل أحطت بكل شيء حتى أطلب من الله أن يقتله؟، والدعوة المستجابة تتحكم فيها الإجابة ويكون كأنه قتل نفس بريئة من غير حق ... ولذا فالواجب أن يُرجع الإنسان الأمر إلى الله ويفوضه إلى الله ويرفعه إليه، والله ﷻ لا يظلم أحداً من خلقه ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (٤٦فصلت).

إذاً علينا يا إخواني الدعاء لكن في الخير وفي البر وفي المعروف فإن رسولكم الكريم ﷺ قال: { يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ }٤٦، وفي الرواية الأخرى { لا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ }٤٧. لا يجوز أن يدعو على مؤمن بأن يوقعه الله في مصيبة أو أن يجعله الله يقع في ذنب ويُقبض فيه أو يبتليه الله بنكبة ليس له منها مخرج، ويحم القضاء عليه بسببها لأن المسلم لا يدعو بإثم يعني بذنب ولا يدعو بقطيعة رحم يعني لا يدعو على ولد بأن ينسى أمه وأباه ليتفرغ لزوجه أو يدعو على رجل بأن يقاطع أخوته ويبعده الله عنهم ليحب زوجته وأولاده لأن الإسلام يدعو إلى البرّ ويدعو ويدعو إلى الخير.

فالمسلم يدعو بالبر ويدعو بالخير ويستجيب الله ﷻ له الدعاء ما دام لا يتعجل في دعائه .. ولا يدعو بإثم أو قطيعة رحم ... ، وما زال يدعو الله ﷻ وهو موقن بالإجابة والذي يدعو الله كما يقول علماء النفس في هذه الحياة على الأقل يُفرغ الشحنة العصبية الموجودة في داخله ولا يكتمها في نفسه فتصيب أعضاءه بالأمراض النفسية.

فإن الإنسان لو أهمه أمر أو أقلقه أمر لا يرتاح نفسياً ولا عقلياً ولا جسمانياً إلا إذا

٤٥ عن ابن مسعود ﷺ، رواه البخاري في كتاب الأنبياء باب حدثنا أبو اليمان.
٤٦ عن أبي هريرة وعن عبادة بن الصامت رواه الترمذي باختصار استعجال الدعاء، رواه الطبراني في الأوسط.
٤٧ عن أبي هريرة في صحيح ابن حبان.

أفضى به إلى إنسان آخر فإذا أفضى إلى الآخر استراح. وإذا ظل هذا الأمر في دخيلة نفسه يُتعبه وربما يُصاب بالضُرّ وربما يزيد عنده التوتر وربما يزيد القلق النفسي وربما يُصاب بمرض عصبي وربما يُصاب بمرض جسماني لأنه حبس هذه الشحنة من الغضب والتوتر والقلق في نفسه فلابد أن ينتهي إلى غيره وإذا تحدث بها إلى غيره ماذا يفعل الغير؟ .. لن يستطيع نفعه ولن يستطيع دفع الضرّ عنه، بل ربما يزيد البلاء بلاءاً، ربما ينقل الكلام إلى الأعداء فيزيد الطامة الكبرى من البلاء عليه وربما يبثه حديثاً ضاراً بينه وبين زوجه فيعلمها بطريق حسن أو غير حسن فيقلب العداء عليه جهاراً بعد أن كان مستتراً، وربما يبثه أمراً بينه وبين صديقه فيذهب إلى صديقه ويخبره، وقد أصبح الصديق الأمين المؤتمن على الأسرار في زماننا يا إخواني قليل وأقل من القليل !!!!!!

إذن كيف أُبيح بما في نفسي، وكيف أُذهب عصبيتي وتوتري؟ أبث أمري إلى الله ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (٨٦يوسف). وهو ﷻ وحده الذي يجيرني، وهو وحده الذي يستطيع أن ينفعني أويمنع الضرّ عني، وهو وحده الذي يكتم السّر ولا يُبيحه حتى لأعضائي ولا يبيحه حتى لأصدقائي حتى يوم القيامة يحاسبنا جماعة المؤمنين بيننا وبينه قال ﷺ: { يُدْنَى الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ [يعني في ستره] ثُمَّ يُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: يا ربِّ أَعْرِفُ. حَتَّى إِذَا بَلَغَ مِنْهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْلُغَ قَالَ: إِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ. قَالَ، ثُمَّ يُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ، أَوْ كِتَابَهُ، بِيَمِينِهِ }٤٨. فالذي فعل ذنباً يؤرقه ولا يستطيع أن يخبر أحداً! به عليه أن يخبر به الله، وأن يبثَّ شكواه وألمه إلى الله ويرفع أمره إلى الله ويُقبل على الله تائباً، ويستغفر الله يجد الله تواباً رحيماً، ويجد الله غفوراً رحيماً ويجد الله معه في كل أموره لأنه قال ﷻ ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (٦٠غافر). أدعو الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، نحمده ﷻ على نعمه علينا في كل وقت وحين، ونسأله ﷻ أن يزيدنا مِنْ برّه وكرمه وفضله أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير، وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبد الله ورسوله، وصفيّه من خلقه وحبيبه. اللهم صلِّ على سيدنا مُحَمَّداً وآله وصحبه وسلم، واعطنا الخير وادفع عنا الشر ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

---

٤٨ صحيح ابن حبان وسنن ابن ماجة عن صفوان بن محرز.

أما بعد.. فيا إخواني ويا أحبابي في الله ورسوله، عندما يدعو الإنسان خاصة عند الكرب وربما لا يستطيع أن يتملك زمام نفسه .. فيدعو على ولده أو على أهله لينفّس عن نفسه وليخرج ما في نفسه من الصدمات العصبية والشحنات النفسانية !!!

ولكن الله ﷻ أعطى نبيكم الكريم الطريقة الإيمانية للدعاء والتي تجعل الإنسان يدعو الله كما ينبغي، ويدعو الله وهو ساكن النفس مطمئن البال والله ﷻ معه على سماعة التليفون يرد عليه ويجيب طلباته وينفذ رغباته لأنه ﷻ قريب من كل من يدعوه ويناجيه. فأعطاه الله ﷻ مفتاحاً خاصاً بكم جماعة المؤمنين لم يعطه للسابقين حتى الأنبياء والمرسلين!! وهو مفتاح الصلاة وأمره أن يجعلها هي سماعة النجدة أو تليفون الإغاثة الذي يغيث به المسلمين والمسلمات في كل كرب أومعضلة في أي مكان أو جهة من الجهات، سماعة وتليفون لا يحتاج إلى اشتراك شهري أو سنوي ولا يحتاج إلى جهاز مركب في منزل أو سيارة ولا يحتاج إلى مال تدفعه وإنما يحتاج فقط إلى إيمان صادق يدفعه إلى طاعة الله ﷻ ويرفعه إلى الله ﷻ .

فأمر نبيكم الكريم المؤمن أن يلتزم بهذا الأمر ولا يدعو الله إلا في الصلاة لماذا؟ لأنه إذا كان غاضباً وتوضأ هدَّأ الوضوء والماء من غضبه فيخرج بعد الوضوء وقد سكنت نفسه وقد ذهب توتره وقد رجع إليه عقله الراجح ثم يدخل في الصلاة، والصلاة بما فيها من كلمات أمرنا أن نرددها الله، وتسبيحات أمرنا بها رسول الله تدخل على النفس السكينة والطمأنينة فإذا وصل إلى السجود قال فيه سيد الوجود { **وَإِذَا سَجَدْتُمْ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ فَإِنَّهُ قَمِنٌ** [يعني حقيقاً] **أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ** }[49]، فما دعا رجل الله في سجوده إلا واستجاب الله ﷻ له في الحال، لأنه إذا وصل إلى السجود بعد الخطوات التي ذكرناها يكون قد هدأت نفسه واستراح باله وتكلم بكلمات يعقلها لا يندم عليها واستحضر عظمة العظيم ﷻ في قلبه فيناجيه بما يحب أن يسمعه ﷻ.

فمن وقع في ذنب عظيم ما عليه إلا أن يصلي ركعتين أمام حضرة العظيم يقول فيهما النبي الكريم { **مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لمْ يُحَدّث نَفسه فيهما بشئ خَرج مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ** }[50]، وهذه اسمها صلاة المغفرة، يفعل الإنسان الذنب ثم يركع بين يدي الرب ركعتين فيخرج منهما ليس عليه ذنب وربما ينطبق عليه قول الله: ﴿ **فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ** ﴾ (٧٠الفرقان)، يجعل مكان كل ذنب حسنة من فضله وجوده وكرمه ﷻ.

---

٤٩ سنن النسائي الصغرى عن عبدالله بن عباس
٥٠ عن عثمان بن عفان، رواه أبو يعلى.

ومن أهمه أمر من أمور الدنيا أو من أمور الآخرة وليس عنده الشجاعة لاتخاذ القرار فيه من يشاور؟ هل يذهب إلى بيت خبرة؟ أو هل يذهب إلى مكتب لشئون الأسرة؟ أو هل يذهب إلى صديق يستشيره؟ ومن هو المشير الذي في درجة العلي الخبير ﷻ؟! يصلي ركعتين لله، ثم يدعو بدعاء الاستخارة الذي كان يقول فيه سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأرضاه: { كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يُعَلِّمُنَا الاِسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ: إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَاسْتَعِينُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هذَا الأَمْرَ (ويحدّده) [وهو السفر مثلاً أو الزواج من فلانة مثلاً أو إنشاء مشروع كذا مثلاً] خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هذَا الأَمْرَ (ويحدّده) شَرٌ لي في دِينِي ومعاشي وعَاقِبة أمْرِي، أو قَال: عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عَنْهُ، واقْدِرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ ارْضِنِي بِهِ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم }٥١.

ماذا يتم له في الأمر؟ يقول رسولكم الكريم: { مَا خَابَ مَنِ اسْتَخَارَ }٥٢، لا يخيب في أي قرار يتخذه مادام قد استخار الله ورضى بما أشار عليه الله والمشورة تأتي إلهاماً في قلبه (يعني يوجهه الله إلى هذا الأمر) ويحببه في هذا الأمر.

أما من يذكرون الرؤية المنامية فهذا أمر لم يذكره نبينا في أحاديثه النبوية، وإنما الذي ذكره أن الإنسان ينشرح صدره إلى أمر فيتجه إليه، فإذا كان الله ﷻ يتنزل لنا بنفسه القدسية ويطلب منا أن نستشيره في كل أمورنا الدينية وفي كل أحوالنا النفسية والعائلية فكيف نحتار بعد ذلك يا جماعة المؤمنين ومعنا المشير الأعظم وهو رب العالمين ﷻ ...

وإذا عجز الإنسان عن أمر ولا يستطيع تحقيقه ماذا يفعل؟ ﴿ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ (١٥٣البقرة). استعن على هذا الأمر بالصلاة، رسولكم الكريم كان أعداءه يحيطون بالثلة المباركة وهم قلة وعددهم ثلاث مائة وعدد الكافرين يزيد عن الألف ما السلاح الذي يقاتل به؟ هم يقاتلون بسيوفهم ورماحهم وسهامهم وهو يقاتل بالصلاة والدعاء فيها لله ﷻ وما استكمل ركعتين حتى قال لأبي بكر { أبشر يا أبا بكر هذا جبريل قد أتى على فرس على ثناياه (يعني على أسنانه) النقع }٥٣، يعني الغبار معه ثلاثة آلاف من الملائكة مسلحين. جاءوا لنجدته وجاءوا لمعونته صلوات الله وسلامه.

---

٥١ عن جابر بن عبد الله، رواه الطبراني في الثلاثة وفي صحيح البخاري.
٥٢ عن أنس رواه الطبراني في الصغير والأوسط.
٥٣ عن عائشة، رواه أحمد في مجمع الزوائد ومسند الإمام أحمد.

فالأمر الذي يعجز المسلم عن تنفيذه يستعين عليه بالصلاة لله ﷻ، يعينه الله ويمده الله بمدد من عنده حتى الأمر الذي يعجز الطالب أو العامل عن حلّه أو فهمه يتأسى فيه بإمام العلماء الذي قال فيه سيد الأنبياء { **اللَّهُمَّ اهْدِ قُرَيْشاً فَإِنَّ عَالِمَهَا يَمْلا طِبَاقَ الأَرْضِ عِلْماً** }٥٤ وهو الإمام الشافعي رضي الله عنه وأرضاه كان إذا سأله سائل عن سؤال لا تحضره الإجابة فيه في الحال يقول: انتظر يا هذا، ثم يتوضّأ ويصلي ركعتين لله ثم يقول له بعد الصلاة إجابة سؤالك كذا وكذا فيقولون له كيف عرفت الإجابة ولم تطلع على مرجع ولم تنظر في كتاب؟ فيقول نبّأني العليم الخبير وأنا في الصلاة.

حتى الذي يحتار في عُمّاله كيف يعرف الأمين منهم من الخائن؟ وكيف يعرف الذي يُرضي ضميره من الذي يخون؟... عليه أن يتبع سياسة القائد الأعظم الحاكم العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه لقد كان عندما يأتي ولاته وعماله في الأقاليم ليحاسبهم يقول لهم: انتظروا حتى استشير ربي ﷻ فيكم، فيصلي ركعتين لله ﷻ ثم يخرج بعد الصلاة ويقول لكل واحدٍ منهم أنت حسابك كذا!! وأنت لا تُولّى لنا على عمل وأنت أسكناك في مكانك فيقولون من أين لك هذا يا أمير المؤمنين؟ فيقول عرضت الأمر على ربي في الصلاة! فأنبأني بما ترونه وهو حُكم الله ﷻ!!

كيف يحتار المؤمن يا إخواني ومعه الصلاة. إن الصلاة هي التي توصلك لله ﷻ، وهي المفتاح الأعظم الذي سلمه لكم رسولكم الكريم ... . << ثم الدعاء >>.

الخطبة السادسة[55]

بركة الوقت للأنبياء والصالحين

الحمد لله ربِّ العالمين، جعل للخير أوقات وللطاعات آنات يفتح فيها أبوابه للتائبين، ويرفع أجره وثوابه للذاكرين، ويشرح فيها صدور عباده الموفقين. سبحانه سبحانه لطيف بعباده رحيم بخلقه، يبسط يده بالليل ليتوب مسيئ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له أنزل هداه على حبيبه ومصطفاه كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها من أمور الحياة أو من أحوال العبد بين يدي مولاه. فكل شئ يحتاجه المرء منذ أن تفتح عينيه عند ولادته إلى أن يختاره الله ﷻ

٥٤ ابن عساكر عن أبي هريرة
٥٥ كانت هذه الخطبة بمسجد الأنوار القدسية بحدائق المعادي بالقاهرة يوم الجمعة الموافق ٢ من رجب ١٤١٦هـ – ١٩٩٥/١١/٢٤م.

لجواره. كل شئ يفعله أو يطلبه تجده في كتاب الله ﷻ لئلا يكون للناس على الله حجة، ويكون الأمر بعد ذلك محض فضل الله وسابقة الحسنى من الله ﷻ.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، حجة الله على العالمين في هديه وفي خلقه وفي سلوكه وفي مشيه وفي أكله وشربه وفي ملكه وفي فقره صلوات الله وسلامه عليه .... اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ونبيك سيدنا مُحَمَّد الذي أجريت له وعليه جميع الأحوال وقلبته بين الشدة واليسر وبين الفقر والغنى وبين الخوف والعز ليكون في ذلك قدوة لمن وراءه ومن بعده إلى يوم الدين. وصلى اللهم وبارك عليه واجعلنا من خيار التابعين، وارزقنا المشي على هداه والمحافظة على سنته في كل وقت وحين نحن وإخواننا المسلمين أجمعين، أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون سمعنا قبل الصلاة آيات من سورة التوبة:

وهي بحمد الله ﷻ جاءت في أول يوم من شهر التوبة، شهر رجب المبارك الذي نسأل الله ﷻ أن يتوب علينا فيه أجمعين من كل ذنب صغير أو كبير، علمناه أو جهلناه، ونسأله ﷻ أن يجعل تلك السيئات في صحائفنا حسنات إنه على كل شئ قدير.

لقد كان نبيكم ﷺ يفتتح هذا اليوم وهو اليوم الأول من شهر رجب ومن يمن الطالع لنا وعلينا أنه يوم جمعة وأن هذه الساعة، ساعة الجمعة ساعة إجابة فكان يفتتحه بهذا الدعاء. فسندعو به وكرروه معي لعل الله ﷻ يستجيب لنا أجمعين (اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان) ثلاث مرات يا ربَّ العالمين. هذا الدعاء يدعو فيه سيد الأنبياء ﷺ بأن يبارك الله ﷻ لنا في شهر رجب. كيف تكون البركة؟ هل سيزيد الله ﷻ أيامه على الثلاثين أو هل سيطيل الله ﷻ يومه وليله عن الأربع والعشرين ساعة؟؟

كلا لكن البركة التي يقصدها ويعنيها سيدنا رسول الله ﷺ هي التي يواجه الله ﷻ بها عباده الصالحين فإن من إكرام الله للمتقين ومن منته وفضله على الصالحين أن يبارك لهم في الوقت والزمن بمعنى أن العمل الذي يحتاج في تنفيذه ليالي كثيرة يوفقه الله ﷻ في تنفيذه في لحظة يسيرة وقد ضرب الله ﷻ المثل على ذلك في هذا الشهر الكريم لنبيه العظيم صلوات الله وسلامه عليه. لقد أرسل إليه الأمين جبريل وهو نائم قال رَسُولَ اللهِ ﷺ : { **فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ عَنْ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِيءٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي** } [٥٦] فحشوه بالإيمان والحكمة ثم مر بيده عليه فرجع إلى حالته ولم يشعر بألم ولا وجع ولا احتاج إلى

---

٥٦ رواه البخارى عن أبى ذر.

خيط للجراحة ولا مشرط للفتح لأن هذا أمر من يقول للشئ كن فيكون، ثم أحضر له البراق وركبه وأمسك جبريل بلجامه وإسرافيل يمشي خلفه وملائكة الله عن يمينه وعن يساره حتى وصل إلى المدينة المنورة، وقال إنزل فصل - والصلاة كانت في هذا الوقت هي الدعاء لأنها لم تفرض إلا في تلك الليلة - فها هنا دار هجرتك ثم أخذه إلى قبر موسى وقال إنزل هنا فصل فهذا قبر أخيك موسى عليه السلام، ثم أخذه إلى مكان ميلاد عيسى في بيت لحم وقال إنزل فصل فهنا ميلاد عيسى.

ثم ذهب إلى بيت المقدس ووجد مائة ألف ويزيد عليهم أربعة وعشرين ألف هم مجموع الرسل والأنبياء في انتظاره، وتقدم وصلى بهم لله ثم جلسوا على المنصة وجلس كل واحد منهم في دوره يثني على الله بما وهبه الله في دنياه من التأييد في تبليغ رسالة الله عز وجل، فخطب إبراهيم خليل الرحمن، ثم خطب نوح عليه السلام ، ثم خطب موسى عليه السلام ، ثم خطب داود وبعده سليمان، وآخرهم عيسى عليهم السلام ثم قال الأمين جبريل:

الآن يتكلم عليكم مسك الختام مُحَّد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام فألقى خطبة عظيمة كان في مقدمتها { **الحمدُ لله الّذي أَرْسَلني رَحْمةً للعالمينَ وكافةً للناسِ بَشيراً ونذيراً وأَنْزَلَ عَليَّ الفُرْقانَ فيهِ تِبْيَانُ كلِّ شيءٍ وجَعَلَ أُمَّتي خَيْرَ أُمةٍ أُخرجَتْ للنَّاسِ وَجَعَلَ أُمَّتي وَسَطاً وجَعلَ أُمتي هُمُ أَلاوَّلونَ وهُمُ الآخِرونَ، وشَرَحَ لِي صَدْرِي، وَوَضَعَ عَنِّي وِزْرِي ورَفَعَ لِي ذِكْرِي وجَعَلَني فاتِحاً وخَاتِماً** } ٥٧.خطاب طويل ثم قدم التحية الأمين جبريل.

ثم صعد إلى السماوات وبين السماء الأولى والأرض كما أنبأ صلى الله عليه وسلم (مسيرة خمسمائة عام) وعرض كل سماء مسيرة خمسمائة عام وبين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام زارها جميعاً واجتمع بكبار ملائكتها وحادثوه وحادثهم ثم زار الجنان، واطلع على النيران ووصل إلى عرش الرحمن وذهب إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام ورجع بعد ذلك وفراشه الذي كان نائماً عليه لم يبرد بعد - مازال دافئاً - !!!!

كيف قطع تلك المسافات؟ وكيف جاز تلك الجهات؟ وكيف أجرى كل تلك المحادثات في جزء قليل من الليل؟ إن هذه بركة الوقت وبركة الزمن التي أعطاها الله عز وجل له، ولذلك يسمع بعضنا أن الإمام علي زين العابدين مثلاً كان يصلي كل ليلة ألف ركعة لله عز وجل، يطيل فيها السجود حتى لقب بالسجاد، كيف يكون ذلك إلا إذا بارك الله له في هذا الوقت وبارك الله له في هذا الزمان.

---

٥٧ عن أبي هريرة، رواه البزار ورجاله موثقون في مجمع الزوائد.

وسيدنا عثمان ابن عفان ورد عنه في الروايات العديدة .. أنه كان بعد صلاة المغرب يصلي ركعتين لله يقرأ فيهما القرآن كله من أوله إلى آخره !! وينتهي منهما قبل صلاة العشاء، هذا أمر لو قسناه بعقولنا لذهلت لأنه أمر فوق مدارك العقول، ولكن إذا قسناه بأرواحنا وبكتاب ربنا فلا عجب !!

فقد كان الأمين جبريل ينزل على الحبيب ﷺ من فوق سدرة المنتهى إلى الأرض في أقل من لمح البصر لأن الله ﷻ اختصر له الزمن واختزل له الوقت وهذا أمر يجريه الله ﷻ لعباده المؤمنين ولأوليائه الصالحين. ومنهم هذا الرجل الإمام علي ؓ وكرم الله وجهه فقد كان نائماً في المسجد النبوي الشريف على التراب – ولذا لقبه النبي ﷺ وقال له قم يا أبا تراب – فدخل النبي ﷺ وهو نائم فأراد بعض أصحابه أن يوقظوه ومشى بعضهم مسرعاً فأشار إليه النبي ﷺ وقال ما معناه: { **دعوه فإن علي وإن كان جسمه على الثرى** [يعني على التراب] **إلا إن قلبه بالملأ الأعلى** } الجسم لا يستطيع أن يتحرك هذه الحركة التي كان فيها سيد الأولين والآخرين لأن هذه خصوصية من الله ﷻ له لكن القلب إذا نام الجسد يجري الله ﷻ عليه من أنوار هذه الخصوصية فيطلع على السموات العلا وينظر إلى العرش ويدخل الجنان ويتجول فيها وفي ربوعها ويقوم من نومه وقد قطعت روحه ما لا يقطعه المرء في آلاف السنين، وهو قطع ذلك كله في لحظات يسيرة قد تكون ساعة أو بضع ساعة. كذلك إذا أكرم الله عبداً وأراد أن يعلمه كما علم الخضر عليه السلام ﴿ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (الكهف)، يعلِّمه كما علَّم نبيكم الكريم.

فقد جاء الطست من عالم الملكوت مملوءاً بالإيمان والحكمة وبالله عليكم هل الإيمان تراه العين؟ وهل الحكمة تطلع عليها العين؟ أو توضع فى طست؟ لكنها أمور معنوية ذكرها لنا النبي ﷺ ليعلمنا الإكرام الذي يكرم الله ﷻ به أمة الإسلام في كل وقت وفي كل زمان ومكان، فقد وضع في قلبه الإيمان والحكمة فعلم علم الأولين وعلم الآخرين وعلم علوم كل شئ يحتار فيها كبار العلماء المعاصرين للحكم العلمية والتقارير المحمدية التي أنبأ بها بدون أن ينظر في تليسكوب أو يطلع في مجهر أو يقرأه في كتاب أو يستغرق في مكتبة ولكنه من باب قول الله ﷻ :﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٢٨٢البقرة) ...

يعلمكم الله من عنده علوماً إلهية وعلوماً ربانية. إياك أن تقول إنها لا تمشي مع التكنولوجيا العلمية، لأنها جاءت من واهب الحياة، ومن ممد كل من في الكون بأسرار الكون وبأسرار الحياة، لأنه رب العالمين ﷻ.

فإذا أكرم الله العبد المطيع اختصر الله له الزمن، واختصر الله له الوقت، وطوى الله ﷻ

له المكان فيريد أن يقضي عدة مصالح في بلدة كبلدتنا وبين كل مصلحة والأخرى مسافات فيهيأ الله ﷻ له الأمر فيقضيها كلها في لحظات، فعندما يصل إلى المصلحة الأولى يجد الموظف الذي يحتاجه كأنه في انتظاره وليس هناك طابور أمامه، وذلك من بركة الله عليه ومن تيسير الله ﷻ عليه، يفتح له إشارات المرور ويهيأ له مكان يوقف فيه سيارته، يهيأ له الأسباب حتى يختصر له الزمان، لأنه اتقى الحنان المنان ﷻ.

وقد روت إحدى مذيعات التليفزيون المصرى وهي السيدة كاريمان حمزة إنها أعطت كتاباً من تأليف أبيها للشيخ عبد الحليم محمود رحمة الله عليه ليضع له مقدمة، وقدمته له عند المساء، وفي الصباح قدمه لها وقد كتب لها المقدمة، وعندما قرأتها علمت أنه اطلع على الكتاب كله من أوله إلى آخره ولم يترك فيه صفحة واحدة، لأنه كتب في المقدمة عن كل شئ فيه. كيف تم هذا؟ بارك الله له في الزمان، فجعل ما يقرأه في أسبوع يقرأه في ساعة !!! .. كيف يكون هذا الأمر؟ لا تدبر بعقلك ولا تشغل البال بفكرك ولكن اعتقد في الله، وثق في حسن صنع الله، وزد يقينك في كتاب الله، واعمل على تقوى الله تجد ما ذكرناه أمراً ميسراً لجميع عباد الله، قال ﷺ: { **التائبُ حبيبُ الرحمن، والتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ** }[58] ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم وأعطنا الخير، وادفع عنا الشر، ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد .... فيا أيها الأخوة المؤمنون هناك أيضاً فضل في الوقت ورد الأثر فيه: { **إذا أحبَّ الله عبداً سخَّره لأفضل الطاعات في أفضل الأوقات** } .....

وذلك يعني أني أنا وأنت نستطيع أن نقوم الليلة وكل ليلة بلا عناء ولا تعب إذا استحضرنا في قلوبنا وفي نياتنا عند صلاة العشاء في بيت الله، والفجر في بيت الله حديث رسول الله ﷺ { **مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ لَيْلِهِ، وَمَنْ صَلَّى الْصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ** } ٥٩. فهذه بركة تفضل بها علينا الله، فلو صلينا العشاء في بيت الله في جماعة والفجر في بيت الله في جماعة ولم نتململ ولم نتباطأ ونتكاسل كتبنا

---

٥٨ أخرجه ابن ماجة عن ابن مسعود والديلمي عن أنس وابن عباس والطبراني في الكبير عن أبي سعيد الخدري.

٥٩ عن عثمان بن عفان في مسند الإمام أحمد وفي صحيح ابن حيان.

طائعين طوال الليل قائمين له بالتسبيح والذكر والصلاة والركوع والسجود، مع أننا في أعمال غير ذلك!! .... وإذا وفقك الله ﷻ إذا أصبحت وتلوت سورة الإخلاص ثلاث مرات فكأنما قرأت القرآن كله كما قال سيد البرية ﷺ { مَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَكَأَنَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ أَجْمَعَ }٦٠، وعلى مثل ذلك قس فهناك أحوال كثيرة وأعمال كثيرة هي يسيرة في العمل ولكنها تضاعف لك الزمن! فإذا قرأت الإخلاص ثلاثاً في الصباح، وثلاثاً في المساء، فأنت عند الله تقرأ القرآن كله من أوله إلى آخره مرة بالنهار! ومرة بالليل! وإن كان ذلك في الأجر والثواب ولكنه لا يغني عن مطالعة الكتاب للعظة لبقية آياته وقصصه وحكمه.

هذه هي البركة التي دعا لنا بها النبي ﷺ في شهر رجب وفي شهر شعبان وفي شهر رمضان. فالتمسوا البركة في الطاعات لأن أمتكم كما تعلمون وكما قال النبي الكريم: { أقصر الأمم أعماراً وأقلها أعمالاً }. فالأمم السابقة منهم نوح عليه السلام عاش ألفاً وثلاث مائة عام منهم تسعمائة وخمسون في الدعوة وعندما خرج من دنياه وهو على باب جمرك الآخرة سأله الملائكة الواقفون على بوابة البرزخ:{ يَا نُوحُ يَا أَكْبَرَ الأَنْبِيَاءِ، وَيَا طَوِيلَ الْعُمُرِ، وَيَا مُجَابَ الدَّعْوَةِ، كَيْفَ رَأَيْتَ الدُّنْيَا ؟ قَالَ: مِثْلَ رَجُلٍ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ لَهُ بَابَانِ، فَدَخَلَ مِنْ وَاحِدٍ وَخَرَجَ مِنَ الآخَرِ }٦١ فما بالكم لو نظر إلى عصرنا وإلى زماننا والذي يقول فيه نبينا { أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إلى السَّبْعِينَ }٦٢ .... فالعمر قصير !! والمطلوب منك يوم القيامة كثير !! فالتمس البركة من العلي الكبير في الطاعات والصالحات ... ولا تشغلنك الحياة الدنيا .... ، فالدنيا ساعة فاجعلها طاعة ... << ثم الدعاء >>.

الخطبة السابعة[٦٣]

الصلاة علاج لأمراض العصر

الحمد لله ربِّ العالمين، نحمده ﷻ ونشكره على أن اختار لنا الإسلام ديناً، والقرآن كتاباً، والصلوات فريضة، ومُحَمَّد ﷺ نبياً ورسولاً، سبحانه سبحانه، يعطي الدنيا لمن يحبُّ ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن أحبَّ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله تقدست أسماؤه وتعاظمت آلاؤه، وتنزه في توحيده عن النظير والوزير والمشير، إله حيٌّ قيوم واحد، ماجد، فرد، صمد، ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبد الله

٦٠ عن أنس، رواه أبو يعلي والطبراني في الصغير والأوسط والبيهقي.
٦١ عن إبان عن أنس رضَي اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل
٦٢ عن أبي هريرة في سنن الترمذي وسنن ابن ماجة والإمام أحمد ورواه أبو يعلي.
٦٣ كانت هذه الخطبة بمسجد الأنوار القدسية – جيزة – يوم الجمعة ٣٠ من رجب ١٤١٦هـ – ١٩٩٥/١٢/٢٢م.

ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، دعاه الله ﷻ إلى حضرته، وخصه بصافي ودّه وكرامته، وأرسل لنا معه هدية عظيمة فيها الصحة في الدنيا والنجاة يوم لقاء الله، فطوبى لعبدٍ فقه خطاب الله ووعاه ... فاللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد... فيا أيها الأخوة المؤمنون ونحن نحتفي بذكرى الإسراء والمعراج، مازال معنا قبس من الإسراء والمعراج، نعيش على هديه ونقتبس من ضوئه في اليوم خمس مرات، حتى نلقى الله ﷻ، ونحن نعاهده على تمسكنا بما أمر به حبيبنا في ليلة الإسراء والمعراج، فقد كلفه الله ﷻ في تلك الليلة بفريضة الصلاة، ولم ينزل بها جبريل ولم يكتف الله ﷻ بفرضيتها في القرآن الكريم، بل استدعاه وحباه، وقربّه، وأدناه ليعلمنا أن هذا أمر خاص ويحرص عليه الله، ومن ثم هناك من فوق سدرة المنتهى فرض عليه الصلاة..:قال ﷺ:

{ فَأَوْحَى الله إِلَيَّ مَا أَوْحَى. فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى . فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلاَةً. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبّكَ. فَاسْأَلْهُ التّخْفِيفَ. فَإِنّ أُمّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذٰلِكَ. فَإِنّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. قَالَ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَبّي فَقُلْتُ: يَا رَبّ خَفّفْ عَلَى أُمّتِي. فَحَطّ عَنّي خَمْسا. فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطّ عَنّي خَمْسا. قَالَ: إنّ أُمّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذٰلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبّكَ فَاسْأَلْهُ التّخْفِيفَ. قَالَ، فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عليه السلام حَتّى قَالَ: يَا مُحَمّدُ! إِنّهُنّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. لِكُلّ صَلاَةٍ عَشْرٌ. فَذٰلِكَ خَمْسُونَ صَلاَةً. وَمَنْ هَمّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً. فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرا. وَمَنْ هَمّ بِسَيّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئا. فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيّئَةً وَاحِدَةً قَالَ: فَنَزَلْتُ حَتّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ. فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبّكَ فَاسْأَلْهُ التّخْفِيفَ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبّي حَتّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ } [٦٤]

رسولكم الكريم ﷺ لم يرض بصلاة واحدة في اليوم والليلة وجعلها خمس صلوات. لماذا؟ لأنه بنور الله الذي أعطاه له الله ﷻ عَلِم أن الصلاة هي علاج كل مشاكلنا في هذه الحياة وخاصة في هذا الزمن الذي نحن فيه، حيث اتجه الناس إلى المادة والدنيا وكادوا يعبدونها من دون الله ﷻ، فيصبح الرجل وكل همه ومنتهى علمه أن يحصّل المال بأي كيفية، من حرام أو من حلال لا يهم، من غشٍ أو من نهب وسرقة أو رشوة لا يهم، المهم أن يحصّل المال ليمتّع نفسه

---

٦٤ صحيح مسلم وغيرها الكثير عن أنس رضي الله عنه

في زعمه وبنيه بما جدّ من المستحدثات!

ومع ذلك ومع كثرة المال، ومع وفرة الخيرات، كثر في عصرنا التوتر النفسي، والقلق العصبي، وأمراض العصر الضغط، والسكر، وأمراض القلب، وكلها ليست من ميكروبات ولا من جراثيم وإنما من توترات نفسية، وأحوال عصبية، يتعرض لها المرء نتيجة للضغوط التي تواجهه في حياته الكونية. ما علاجها؟ العلاج الناجح، والعلاج الشافي، وليس المُسّكن فكل ما نتناوله من الصيدليات، وكل ما يكتبه لنا الأطباء عن هذه الأمراض مسكنات لا تعالج المرض من جذوره ولا تقتلعه من ذات الشخص، ولكن العلاج الناجح الشافي الكافي هو في هذه الصلاة التي فرضها الله ﷻ.

واسمعوا معي إلى قول الله ﷻ : وهو يتحدث عن عصرنا في قرآنه الكريم وعن أمراض هذا العصر، فيعرضها عرضاً عظيماً لأنه هو الرب العظيم ﷻ فيقول: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (المعارج)، أمراض العصر، الهلع، خوف الفقر، وخوف الضيق، وخوف فقد المال، وخوف فقد المتع، وخوف فقد المشتهيات والملذات، يخاف ألا يطعمها ولا يتذوقها بأمر الطبيب وخوف الأمن كل ذلك اسمه الهلع ... إذا مسَّه ولم يقل أصابه، مسٌّ خفيف من الشر أو الضر، تجد الإنسان يصيبه الفزع ويصيبه الجزع وأحياناً يصيبه اليأس والقنوط ولا يقنط من رحمة ربه إلا القوم الضالون، ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون !!!

وإذا جاءه الخير ينفق بسخاء على نفسه وينفق ببزخ على أهل بيته، فإذا طلب منه مساعدة لفقير أو مسكين أو لبائس أو محتاج يمسك يده عن الإنفاق ويدعي الفقر والحاجة، كهذا الرجل الأمير الثري الذي تناقلت أخباره وكالات الأنباء والذى تبرع بمليار دولار لتشجير حديقة الحيوانات في لندن لكي ينال رضاء رئيس وزرائها، فلما ذهبوا إليه ليتبرع لأهل البوسنة أثناء الحرب، قال: سأدعو لهم الله ﷻ ورفض أن يعطيهم ديناراً واحداً !!!

هذا الأمر لا يعتري المصلين ولا يصيب المحافظين على الصلاة، وقد أثبت العلم الحديث بأحدث أجهزته وآلاته أنه لا يعالج القلق النفسي ولا التوتر العصبي إلا الوقوف بين يدي الله بالسكينة والوقار، فإن ذلك ينزل السكينة على القلب والطمأنينة على الأعضاء، فتستريح من هذا التوتر وهذا القلق، وقد روى سفير ألمانيا في المغرب سابقاً الذي أسلم وكان اسمه الفريد هوفمان فسمى نفسه مراد وكان يعمل رئيساً لجهاز الاستعلامات في حلف الأطلنطي قبل أن يعمل سفيراً لبلاده في المغرب، قال جاءتنا التعليمات بأن نجعل الطيارين يقومون بحركات كحركات الصلاة للمسلمين في كل يوم مرة وقالوا إن ذلك يكسبهم السكينة النفسية

والطمأنينة، فلا يملّون ولا يقلقون إذا طاروا إلى مسافات طويلة !!!

يا عجباً أهل الكفر يستخدمون حركات الصلاة لعلاج أمراض النفس، وأهل الصلاة يتكاسلون عنها بل وينقطعون أحياناً عنها، بل ولا يحافظون عليها، مع أنها هي العلاج النافع ولا علاج غيره لهذه الأمراض التي ذكرناها. هي تغنيك عن جلسات الطب النفسي، وتغنيك عن البراشيم المهدئة بكافة أنواعها مع أنكم تعلمون مدى شدة الأضرار اللاحقة لاستخدامها، وتغنيك عن المصحات النفسية وما أدراك ما تكاليف دخولها. كل ذلك يُغنيك عنه الله إذا حافظت على الصلاة في مواقيتها، وفي بيت الله ﷻ.

قد يقول البعض نحن نؤدي الصلاة ونحافظ عليها ولا نشعر بما نقول. أقول أنها فشت في عصرنا ظاهرة وهي الصلاة في داخل المنازل، فإن الصلاة فرضها الله لتؤَدّى في بيوت الله، وسط عباد الله المؤمنين، لأن المرء إذا صلى بمفرده يحاسبه الله ﷻ على قدر حضوره في الصلاة فقد قال ﷺ: { **أَنَّ الرَّجُل لَيُصلِّي الصَّلاةَ، وَلَعَلَّهُ لَا يَكُونُ لَهُ مِنْهَا إِلا عُشْرُهَا، أَوْ تُسْعُهَا، أَوْ ثُمْنُهَا، أَوْ سُبْعُهَا، أَوْ سُدْسُهَا ولا يكتب للمرء من صلاته إلا ما عقل منها** }٦٥. فإذا كنت جالساً أمام التليفزيون أشاهد المباراة وفي وقت الراحة تقدمت بالمصلاة لأصلي العصر بين الشوطين كيف تكون هذه الصلاة؟ إنها روتين يؤديه المرء بين يدي الله لا يحقق سكينة ولا يحقق طمأنينة وخاصة إذا كان مَنْ حوله يتحدثون ويسمعهم جيداً وبعد انتهاء الصلاة يعلق على حديثهم ويحادثهم كما سمع لهم وهو في الصلاة. ليست هذه صلاة وإنما حركات تؤدى بين يدي الله ﷻ.

لكن الصلاة في بيت الله فيها السكينة وفيها الطمأنينة وفيها الصفاء وفيها الطهارة وفيها النقاء لأنه لا يشغلنا بشئ في بيت الله عن الله ﷻ، حتى أن الإسلام منع الزينة التي تشغل المؤمن عن الصلاة، إذا كان هناك بالمسجد زينة لو نظر إليها المصلي شغلته، يطالبنا الإسلام أن نُزيلها ونمحوها حتى لا يكون هناك شئ يشغله عن الصلة بالله ﷻ فإذا قال الله أكبر ورفع يديه جعل الدنيا خلف ظهره وأقبل بكله على ربه ﷻ يناجيه بكلامه ويتملّق إليه بإنعامه فيقبل عليه الله ﷻ بعطائه وفضله وإكرامه، هذا فضلاً عن أن الجماعة إذا وصلت أربعين رجلاً كما ورد فى الأثر { **لا تخلو من رجل صالح يتقبل الله ﷻ صلاته، ويقبل صلاة الجميع من أجله** }. الصلاة في جماعة صلاة مقبولة إن شاء الله لأن الجماعة لا تخلو من قلب طاهر يُقبل عليه الله فيقبل صلاته ويقبل صلاة الجميع من أجله ولذلك قال ﷺ: { **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبَ ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلاَةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا**

٦٥ صحيح ابن حبان وسنن البيهقى الكبرى عن عبدالله بن عنمة .

ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيَؤُمَّ النَّاسَ ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ فأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ }٦٦ لأنهم منعوا أنفسهم من هذا الخير ومن هذا البر الذي أراده الله ﷻ لهم.

وعن البراءِ بنِ عازَبٍ: { أَنَّ ابنَ أُمِّ مكتومٍ - وكانَ ضريرَ البَصَرِ - أتى النبيَّ ﷺ فَشَكا إليهِ، وآلهُ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ في صَلاةِ العِشَاءِ والفَجْرِ، وقال: إنَّ بيني وبينَكَ المَسِيلُ، فقالَ النبيُّ ﷺ: هَلْ تَسْمَعُ الآذانَ؟ قالَ: نَعَمْ، مرةً أَو مرتينِ، فلَمْ يرخِّصْ لَهُ في ذَلِك }٦٧

وعلى هذا لا يوجد في زماننا من له عذر يبيح له أن يصلي في بيته إلا المريض الذي منعه الطبيب من الحركة أو الإنسان الذي له عذر للخروج في صلاة الفجر. عذر قاهر يقرره الأطباء والشرع. أما المؤمن فلابد أن يتوضأ ويصلي فقد قال ﷺ ما معناه {وما يدريك لعلني لا أبلغه} ونحن يكون المرء في عمله وهناك مصلى في عمله ويؤجل الصلاة حتى يرجع إلى منزله. من الذي ضمن له الرجوع؟ ومن الذي يضمن له أن يصلي الظهر حاضراً؟

فإذا خرج متأخراً وتلهف على الطعام وأذّن العصر يصلي قضاءاً ولا يندم على ما فاته من أداء الفريضة في وقتها، وهذا يا إخواني عمل شنيع شنّع عليه أصحاب رسول الله ﷺ. لقد كان الرجل منهم الذي تفوته تكبيرة الإحرام مع الإمام يصاب بألم شديد في جسمه ووجع في كل أرجاء بدنه ويمرض ويعودونه لمدة ثلاثة أيام لما فاته من الخير في أداء تكبيرة الإحرام واللحوق بالجماعة من أولها، والذي كانت تفوته الجماعة الأولى كان يمرض أسبوعاً يعودونه ليخففون عنه، فما بالكم بالذين يصلون الفرض بعد انتهاء وقته؟ في شأنهم قال تعالى ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ﴾ (الماعون)، أي الذين يتساهلون في أداء الصلاة في وقتها، هؤلاء لهم نصيب من الويل في الدنيا من الأمراض ومن الهموم ومن الغموم ومن المشاكل التي تحدث لهم ويعجزون عن حلها ولا رافع ولا دافع لهم إلا الله ﷻ.

فيحق لنا جماعة المسلمين أن نحيي هذه الليالي بأعياد متصلة، أعياد للصلاة فليلة الإسراء والمعراج هي عيد نزول الصلاة، هي عيد حدوث بركة الصلاة، هي عيد أكرمنا الله ﷻ فيه بالشفاء من كل أمراض العصر بالصلاة، فحافظوا عليها لقوله ﷺ: {مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلاَةِ كَانَتْ لَهُ نُوراً وَبُرْهَاناً وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلاَ بُرْهَانٌ وَلاَ نَجَاةٌ وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَي بْنِ خَلَفٍ}٦٨.

وورد فى الأثر: { إذا رأيتم يهود الأمة فلا تسلموا عليهم!. قالوا: ومن هم يهود

٦٦ صحيح البخارى عن أبي هريرة
٦٧ رواه الطبراني في الأوسط
٦٨ رواه الطبراني عن أبي الدرداء وعن حنظلة في الكاتب في مسند الإمام أحمد.

الأمة؟ قيل: المرجئة! الذين يمرون على المساجد ويستمعون إلى الآذان ولا يؤدّون الصلاة }، وقال ﷺ: { الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلاَةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ }[٦٩]، أو كما قال .... ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم، وأعطنا الخير، وادفع عنا الشر، ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين .... أما بعد..

فيا أيها الأخوة المؤمنون: إن الصلاة هي التحصين الواقي لأولادنا وبناتنا من ارتكاب المعاصي في هذه الحياة لقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ (٤٥العنكبوت) ، ولذلك قيل: {يا رَسُولَ اللَّهِ، إنَّ فلاناً يُصَلِّي اللَّيْلَ كُلَّهُ، فإذا أَصْبَحَ، سَرَقَ، قال: سينهاهُ ما يقُولُ -يقصد الصلاة-}٧٠ فاحرص ما تحرصون عليه إذا أردتم الاطمئنان على أولادكم وبناتكم أن تراقبوهم في أداء الصلاة، وأن تجعلوا كل هَمِّكم هو ملاحظتهم ومتابعتهم في أداء الصلاة ... لماذا؟

قد كان دعاء الأنبياء الكرام عليهم السلام الذي يضرعون فيه إلى الله كما قال سيدنا إبراهيم الخليل ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾ (٤٠إبراهيم)، طلب من الله أن يوفقه لإقامة الصلاة هو وذريته لأنها هي الحفظ الإلهي فإن المرء إذا صلى لله يصيبه تحصين روحاني وقسط نوراني ينزل على قلبه لا تراه العيون ولا تصل إليه العقول ولا الظنون، إذا وقع في ورطة وأراد به قرناء السوء شراً يجد معه قول الله ﷻ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (٢٠١الأعراف)، فيهيأ الله ﷻ له بالإلهام الروحاني وبنوره الرباني، ما يدفعه عن هذه المعصية ..!!

فضلاً عن أن الصلاة هي حبل الصلة بينك وبين الله لقوله ﷻ لموسى ؑ : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ (١٤طه)، فإذا حافظت على إقامتها لا تحتاج إلى شئ وتقف بين يدي مولاك إلا ويلبيك في الحال.

فهناك صلاة الحاجة لا يصليها فرد بصدق لله إلا ولبَّى الله حاجته، وهناك صلاة

---

٦٩ رواه أحمد والترمذي عن عبدالله بن بريدة
٧٠ رواه أحمد والبيهقى

الاستخارة لا يحتار الإنسان في أمر من أمور الدنيا فيصليها إلا ويشرح الله صدره لما فيه خيره وبره. وهناك صلاة الفزع وقد قالت السيدة عائشة ﵂ عن رسول الله ﷺ: { **كان إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ (يعني أهمَّه أمرٌ) فزع إلى الصلاة** }٧١ فيفرج الله ﷿ عنه في الحال.

وقد كان سيدنا أبو الدرداء ﵁ وأرضاه يخرج من المدينة إلى الشام تاجراً بغير حارس أو رفيق، وبينما هو مسافر ذات مرة استأجر دابة يركبها حتى إذا قطع شوطاً في الطريق أخذه صاحب الدابة إلى وادٍ بين جبلين فوجد فيه رؤوساً كثيرة مقطعة، قال: هل رأيت هؤلاء؟ قال: نعم. قال: إن مصيرك كمصيرهم. قال: يا هذا خذ مالي ودعني.

قال: أما مالك فلابد منه وأما مصيرك فإلى الهلاك. قال: إذا لم يكن من ذلك بد فدعني أصلي ركعتين لله ﷿، فانفرد يصلي لله، وهو في الصلاة واقف بين يدي الله سمع قائلاً يقول: دعه يا عدو الله، فواصل الصلاة وهو في ركوعه سمع الصوت ثانية يقول: دعه يا عدو الله، وهو في سجوده سمع الصوت ثالثة يقول: دعه يا عدو الله ...

وعندما أنهى الصلاة وجد رجلاً وبيده سيفاً يقطر دماً والرجل الذي معه قد قطعت عنقه فقال: من أنت؟ ومن أدراك بي؟ ومن الذي أرسلك إلي؟

فقال: أنا ملك من السماء الرابعة عندما استغثت بالله ﷿ وأنت في الصلاة قال الله ﷿: من يغيث عبدي فلان في أرض كذا؟ فقلت أنا يا ربَّ ... فعندما كنت في السماء الرابعة هم بقتلك، فقلت: دعه يا عدو الله،... وعندما وصلت إلى السماء الأولى هم بقتلك ثانية! فقلت: دعه يا عدو الله ....، وأنا على باب هذا الوادي هم بقتلك ثالثة! فقلت: دعه يا عدو الله .....، ثم قتلته.

فالصلاة صلة بالله ومن كان الله معه ويتصل مباشرة به ويلبيه الله بكل حوائجه في دنياه وآخراه كيف يمد يده إلى غير الله؟

وكيف يصغِّر وجهه للوقوف على أبواب خلق الله؟ أو يذل نفسه لهم؟ وهو أغناه وأعزه عن جميع من سواه؟ فتمسكوا عباد الله بالصلاة وأوصوا بها بناتكم وأبنائكم وأزواجكم واجعلوها كل همكم يبارك الله لكم في كل أحوالكم .

. << ثم الدعاء >>.

٧١ عن حذيفة رواه أبو داود براوية إذا حزبه أمر صلى.

الخطبة الثامنة[٧٢]

سر ابتلاء المؤمنين

الحمد لله ربِّ العالمين، ناصر المتقين، ومؤيد المؤمنين، ومتولي بكفايته وعنايته عباده الصالحين. سبحانه سبحانه مَنْ توكل عليه كفاه، ومن تقرب إليه جازاه، ومن أحسن فيما بينه وبين ربه كفاه الله شرّ حُساده ومن عاداه.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، القوي العزيز، الجبّار، القهّار، المنتقم من الكافرين والظالمين، الرؤوف، الرحيم، اللطيف بعباده المؤمنين. وأشهد أن سيدنا مُحَّداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، إمام الأخيار، وسيد الأبرار والأطهار، والشفيع الأعظم لجميع الخلائق يوم القرار ... اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَّد وعلى آله وصحبه وسلم، صلاة تحلّ بها العقد وتفرّج بها الكرب، وتزيل بها الضرر، وتهوّن بها الأمور الصعاب، صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يارب العالمين.

أما بعد..فيا أيها الأخوة المؤمنون.. ونحن في أيام الإسراء والمعراج سنتناول سوياً حكمة الإسراء والمعراج التي نحتاجها جميعاً الآن في حياتنا لنستعين بها على أداء أحكام ديننا، ونتعاون بها على أداء ما كلّفنا به ربنا حتى نخرج من الدنيا وقد نلنا رضا الله، وحُزْنا ما نبغيه من الجنة التي أعدها الله للصالحين من عباد الله.

إخواني وأحبابي إن الأمر الذي سنتحدث فيه هو الأسوة الحسنة التي قال لنا فيها الله ﷻ ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١الأحزاب) ... إن كثيراً من المسلمين الآن الذين يُظهرون شعائر الإسلام ويتمسكون بهدي المصطفى ﷺ في تعاملهم بين الأنام يتعرضون لبعض المشاق في أعمالهم ولبعض العَنَت في بيوتهم ومع جيرانهم والبعض منهم قد يُسئ الظن والعياذ بالله من الله ﷻ، ويقول بلسان حاله وإن لم ينطق بذلك بلسان قاله يا ربَّ أنا مؤمن بك ومُصدق بكتابك ومتبع لنبيك وأمشي على نهج قرآنك وأنفّذ تعاليم شريعتك فلماذا لا تضر الذي يضربني؟ ولماذا لا تكيد الذي يكيدني؟ ولماذا لا تتولى قهر من عاداني وحسدني؟

ولا يزال يقول حتى يقول لقد تخليت عني وتركتني، وهذا أمرٌ يحدث لكثير من الناس إذا تعرضوا لبعض المشاق في حياتهم أو لبعض المتاعب في تعاملاتهم في العمل، أو في البيت، أو مع

٧٢ كانت هذه الخطبة بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين – جيزة يوم الجمعة الموافق ٢٦ من رجب ١٤١٧هـ – ١٩٩٦/١٢/٦م.

الجيران أو مع الأهل والأقارب، أو مع التجار في الأسواق، وغيرهم والله ﷻ لم ينسنا طرفة عين ولا أقل، ولكنه ﷻ قال لنا ولمن قبلنا ولمن بعدنا: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ (العنكبوت).

الإيمان لابد له من امتحان حتى يثبت للرحمن صدق دعوى الإيمان، فيبدو للذي يتعرض للامتحان إما أن يصبر على أمر الله ويرضى بما قدّره مولاه، وإذا فعل ذلك جاءته النجدة والإغاثة من الله، وجاءه العون من ملائكة الله، وفرّج الله عنه كل كرب، وقهر أعداءه، ولكن بعد أن يرضى بما قدّره مولاه. أما الذي يتعجل الأمور ويريد أن تسير الأكوان على وفق هواه ويظن أنه ما دام يعبد الله فلابد أن يكون الخلق جميعاً طوع أمره ورهن إشارته، فهذا غافلٌ عن حكمة الله في امتحان أهل الإيمان بالله ﷻ.

هذا أكرم رجل خلقه الله على الله، وأحب حبيب إلى الله بين عباد الله، ناصبه أهله جميعاً العداء وحبسوه بين جبلين هو ومن آمن به ثلاث سنوات لا يطعمونهم ولا يبيعون لهم ولا يشترون منهم ولا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم، حتى وصل الأمر إلى الغاية القصوى من البؤس والضرّ له ﷺ ومَنْ معه، ولم يكتفوا بذلك بل أخذوا يعذبون أصحابه بشتى أصناف العذاب ويتفنّون لهم في كل ما يخطر على بالهم من أنواع العقاب، وعندما ذهب إليه بعضهم ليشتكي، غضب رسول الله ﷺ وقال لهم: { **إنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ لَيُؤْخَذُ الرجلُ فَيُحْفَرُ لَهُ الحُفْرَةَ فَيُوضَعُ المِنْشَارُ على رَأْسِهِ فَيُشَقُّ باثنتينِ، ما يَصْرِفُهُ عن دينِهِ، أَوْ يُمْشَطُ بأمشاطِ الحديدِ ما بينَ عَصَبِهِ وَلَحْمِهِ ما يَصْرِفُهُ عنْ دِينِهِ** }[73] لا يغيره ذلك عن عقيدته في الله ولا يحوله عن الإيمان بالله ﷻ ..

ولم يزالون به ﷺ حتى اضطروه إلى الخروج من بينهم فذهب إلى الطائف، وظنَّ من ظنَّ أن الأمر سيتحول وأن عناية الله ﷻ ستلاحقه وسيجد من يستقبلونه بالعناق والأحضان معلنين الإيمان به ومصدقين بالقرآن، لكن الأمر كان بخلاف ذلك، فقد سلّطوا عليه صبيانهم وأغروا به عبيدهم يرمونه بالحجارة ويسّبونه بأفظع الألفاظ ولا يزالون به حتى خرج من بلدهم صلوات الله وسلامه عليه، ماذا فعل؟

تخلّى عنه الجميع، ولكن باب القريب السميع مفتوح وما دام باب الله مفتوحاً فلا ييأس المؤمن من رحمة الله ولا يقنط من فرج الله، لأن الله ﷻ لو نظر إلى عبده طرفة عين برحمة

---

٧٣ عن خباب أخرجاه في الصحيح من حديث إسماعيل.

وشفقة وحنان لبدّل عُسره إلى يسر، وكربه إلى فرج وزال عنه الضرّ والبأساء وجعله من عباده السعداء فتوجه ﷺ إلى الله بعد أن يأس من نُصرة عباد الله، وكفى بالله ولياً، وكفى بالله نصيراً. ماذا حدث؟ جاءه الفرج والنصر، وجاءه الرضا، وجاءه اليُسر من الله ﷻ.

فجاءه الأمين جبريل وفرّحه بفضل الله ﷻ العلي الكبير وأخذه إلى موضع مسجده الشريف وقال له: أبشر ها هنا دار هجرتك، فإن الله ﷻ سيحولك إلى هذا المكان وتجد فيه أنصاراً يعاونونك على نشر دين الرحمن ثم أخذه ليلتقي بإخوانه من الأنبياء والمرسلين ليتعرف منهم على ما لاقوه في دعوة الخلق إلى الله فوجد أنهم جميعاً قد لاقوا مثل ما لاقى، لم يجد أحدهم الطريق مفروشاً بالورود، ولم يجد أحدهم الناس على أحر من الجمرينتظرونه بعد تلقي الوحي، بل وجدوا العنت والضيق والشدة والكرب ولكنهم صبروا لأمر الله، ففرّج الله عنهم كل ضائقة في هذه الحياة ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٢٤السجدة).

فلنعلم جميعاً علم اليقين أن المخرج لنا أجمعين من كل ضائقة ومن كل شدة نتعرض لها في أجسامنا أو في حياتنا أو في آمالنا، إنما هو الصبر الجميل الذي أمر الله به ﷻ المؤمنين والمؤمنات ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (يوسف)، فمن صبر لأمر الله ولم يتحول ولم يتغير عن أحكام دين الله وعن تعاليم شرع الله فإن الله سينصره ولو بعد حين، فالموظف الأمين الذي يريد من حوله أن يستدرجوه ليخون الأمانة، أو ليقبل الرشوة، عليه أن يصبر لأمر الله، ولا يتحول عن دينه، ولا يغير مبدأه أبداً أسوة بما فعل رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام والأنبياء والمرسلون أجمعون ... فإذا صبر وصدق في صبره فرَّج الله كربه، وأزال الله عسره، ونصره الله ﷻ على أعدائه وقال في شأنهم وفي شأن أمثالهم مطمئنناً قلوبهم وقلوبنا : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٣٠الأنفال).

فمن تعذر عليه مثلاً أن يبني حياته وحياة أولاده بالطريق المستقيم وبالهدى المحمدي القويم، قد يغريه إخوانه التجار بغش البضاعة وغش الكيل والميزان وخداع المشترين بشتى الأساليب التي يخترعونها ويبتكرونها ليبتزون أموال الناس بها، لأنهم يريدون أن يعلون في الأرض بطرفة عين !! فهل يستجيب لهم .. لا! ولكنه إذا صبر لأمر الله ولم يغير طريقة التعامل التي هدانا إليها كتاب الله، فإن الله ﷻ سيعزّه بين القوم اللئام، ويجعل له العزة في الدنيا والثواب يوم لقاء الملك العلام، لأنه تمسك بأمر الله ولم يتحول عن الإيمان بالله ولم يغير المبادئ القويمة والأحكام الكريمة التي جاءته من عند الله ﷻ.

وكذا المدرس الحكيم الذي يُرضي الله في عمله ولا ينتظر درساً بعد عمله إلا لمن كان

محتاجاً إلى عِلْمه فإن الله ﷻ يُعزُّه بين المتكالبين على الدروس الخصوصية، وجعلوا حياتهم سعيراً فلا يبارك لهم في أولادهم، ويجعل حياتهم جحيماً مع كثرة الأموال التي في حوزتهم، ويبارك له في أولاده، ويجعلهم في الدنيا مصلحين وفي الآخرة سعداء وناجين، لأنه تمسك بهدى رسول الله ﷺ

.

وهكذا الأمر يا إخواني في كل عمل وفي كل وظيفة. وقد قال ﷺ: { **لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاس** }٧٤، وهؤلاء عليهم الصبر في امتحان الإيمان على الجهاد بتعاليم القرآن والعمل بسنة النبي العدنان فلا يغيرون ولا يُبدّلون حتى يدخلون في قول الله ﷻ: ﴿ **مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾** ﴾ (الأحزاب)، وهؤلاء وعدهم الله ووعده لا يتخلّف ﴿ **لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا** ﴾ (٥٥النور)، وما هي إلا لحظة صبر قصيرة يعقبها حياة عزة طويلة، إعزازاً بنصر الله لعباد الله المؤمنين قال ﷺ: {**مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ**}٧٥.

وقال ﷺ: وقال ﷺ: { **إني لَمُشْتَاقٌ إلى إِخْوَانِي، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا إِخْوَانُكَ؟ قَالَ: لاَ، أَنْتُمْ أَصْحَابِي، إِخْوَانِي قَوْمٌ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرُونِي ، عمل الواحد منهم بسبعين منكم. قال: بسبعين منّا أو منهم يا رسول الله؟ قال: بل بسبعين منكم أنتم تجدون على الحق أعواناً وهم لا يجدون** }٧٦. أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، وليّ المؤمنين، وكافي عباده المتقين بكفايته في الدنيا وسعادته يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يُعزّ من أطاعه واتبع هداه، وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبد الله ورسوله، العبد الأول الذي آمن بالله ولم يكن في الكون سواه، فصبر وصابر وجاهد في ذات الله، حتى ملأ الله به أركان الوجود هداية ونوراً وفقهاً وعلماً صلوات الله وسلامه عليه.

---

٧٤ عن أبي هريرة في مسند ابن حبان والإمام أحمد وعن ثوبان في سنن ابن ماجة.

٧٥ عن أبي هريرة في مشكاة المصابيح.

٧٦ عن أبي هريرة في صحيح ابن حبان وسنن النسائي ومسند أبي يعلى.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. اسمعوا إلي وصية الله لي ولكم تسعدوا وتفلحوا في حياتكم وتكونوا من السعداء بعد لقاء ربكم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (آل عمران)، لا يغرنكم كثرة الهالكين، ولا يفسدنّ أمركم كثرة الجاحدين بنعمة رب العالمين، فإن الدنيا إلى زوال وما من يوم إلا نُودّع فيه أناساً إلى الله، ويخرج المرء منهم كما دخل الدنيا عارياً ليس معه إلا العمل الصالح الذي قدمه في هذه الحياة ومناد الله يقول له ﴿ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ ﴾ (٩٤الأنعام)، فلا يرى معه شفيعاً ولا معيناً ولا مؤازراً ولا مساعداً إلا عمله الصالح. ليس معه عشيرة عنه يدافعون ولا محامون بأمره يتصرفون لأن الكل قد تخلى عنه بعد أن صار في رحاب الله ﷻ.

والمؤمن عندما يتذكر تلك الساعة يُحْسن العمل ويصلح شأن نفسه، فعليك دائماً يا أخي المؤمن أن تتذكر أنك مسافر إلى الله ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴾ (٤٢النجم)، وأن هذا السفر ربما يكون الآن فربما تضع لقمة في فيك لا تُكمل مضغها، وربما وأنت تسير في الطريق تقع ويحملونك إلى حيث لا أهل ولا رفيق وفي تلك الساعة ماذا أعددت؟ وماذا جهّزت للقاء الكريم ﷻ؟ لن تستطيع البطن أن تشكرك ها هنا على ما أطعمتها من فنون الأطعمة وألوان المشروبات ولن يُقدم لك الجسم الشكر على أنك أنعمت عليه بالنوم هنا، وبالسفر إلى هذه الجهات، وتلكم المصائف وغيرها وإنما لا ينفع الإنسان إلا ما يقدمه للرحمن ﷻ من طاعة وعبادة وحسن سلوك وصبر وإرادة لله ﷻ فاجعلوا الموت منكم على بال وتذكروا دائماً أنكم عن الدنيا قريباً راحلون وإلى الله ﷻ سائرون، وعن الأهل والجميع راحلون، ولن ينفعكم في هذا اليوم إلا ما أنتم له لله ﷻ عاملون. ... << ثم الدعاء >>.

الخطبة التاسعة[77]

الهدى الإسلامي في الإنفاق

الحمد لله ربِّ العالمين، له الملك وله الحمد، يحي ويميت، بيده الخير وهو على كل شئ قدير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، له التصريف المطلق والحكم النافذ، والأمر القاطع في مُلكه وملكوته وهو على كل شئ قدير، وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، إمام الأنبياء والمرسلين، وقائد الغر المحجلين، والشفيع الأعظم للخلائق أجمعين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

٧٧ كانت هذه الخطبة بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين – جيزة يوم الجمعة الموافق ٢٨ من رجب ١٤١٨هـ – ١٩٩٧/١١/٢٨م.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، والقائد الحق بالحق، والهادي إلى الصراط المستقيم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وكل من دعا بدعوته إلى يوم الدين ... أما بعد.. فيا أيها الأخوة في الله والأحباب في رسول الله ﷺ ...

تدبرت لحظة في ما ورد في حادثة الإسراء والمعراج ونظرت إلى ما نحن فيه في مجتمعنا من علل وأمراض، فوجدت الحكيم الأعظم ﷺ قد وضع يده على الداء وشخص له الدواء الذي يمنح المجتمع كله العافية والرخاء إذا مشى على نهج حبيب الله ومصطفاه ﷺ. وقد أشار إلى ذلك ﷺ بإشارات حكيمة يعيها أولي الألباب ويفقهها الأحباب لأنها أمثال بسيطة وسهلة ليست غامضة على البُسطاء ولا معقدة لا يعقلها إلا الفلاسفة والحكماء ...

بل أمثال ضربها لنا يعيها كل مسلم عادي. من هذه الأمثال مثل واحد نأخذه على سبيل العظة والعبرة، ونطبق عليه أحوالنا ونقيس به أعمالنا وأفعالنا، ونتأسى بهديه في حياتنا لعل الله ﷻ ينفعنا جميعاً بديننا في حياتنا ومماتنا بإذن الله فقد ورد عنه ﷺ أنه : { **أَتَى عَلَى رَجُلٍ قدْ جَمَعَ حُزْمَةً عَظِيمَةً لاَ يَسْتَطِيعُ حَمْلَهَا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَزِيدَ عَلَيهَا، قَالَ: يَا جِبْرِيلُ مَا هذَا؟ قَالَ: هذَا رَجُلٌ مِنْ أُمّتِكَ عَلَيْهِ أَمَانَةُ النّاسِ لاَ يَسْتَطِيعُ أَدَاءَهَا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهَا** } [78] إن الله عزت قدرته وجلت حكمته جعل المبدأ العام لجميع الأنام للخاص والعام هو قوله عز شأنه ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا** ﴾ (٢٨٦البقرة)، لم يكلف أحداً في الوجود إلا على قدر طاقته وهو ﷻ أعلم بقواه وقدرته وحقيقته ويحمل الإنسان على قدر القوى التي وهبها له الرحمن، وإذا زاد في تكليفه، زاد في عطائه لأنه ﷻ حكم عدل لطيف خبير، جعل القاعدة الإلهية لجميع البشر ﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ۝٤٦** ﴾ (فصلت) ...

فخلقك في الدنيا وكلّفك ببنين وبنات على قدر ما تتحمل، إن كنت تتحمل البنين وهبهم لك، وأعانك على ذلك، وإن كنت تتحمل البنات وهبهم لك، وأعانك على ذلك، وإن كنت تتحمل البنين والبنات وهبهم جميعاً لك وأعانك على ذلك، وجعل لك من الأرزاق التي قدّرها قبل الخلق وفيها قال ﷺ: { **إن الله خلق الخلق وقدّر الأرزاق قبل خلق آدم بألفي عام** }[79]، قدّر الأرزاق وانتهى منها على أن تسير فيها على أمر الله، وشرع الله الذي بينه في كتابه جل وعلا حيث قال في شأنكم ﴿ **وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا** ﴾ (٦٧الفرقان).

والمنهج الوسط هو شرع الله، وكتاب الله، وسنة رسول الله فمن حاد عن الشرع لهواه

٧٨ الترغيب والترهيب رواه البزار عن الربيع بن أنس عن أبي العالية أو غيره عن أبي هريرة
٧٩ رواه مسلم عن عمر مرفوعاً ولفظه: "قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف عام".

ضاقت به الأرزاق، ولم يتحمله ما قُدّر له من أقوات، ويريد أن ينفذ ما في هواه فيعجز رصيده من الرزق عن تنفيذ ما يريده لأنه مخالف لشرع الله فيحيد عن الطريق المستقيم، تارة يغش، وتارة يسرق، وتارة يكذب، وتارة ينصب، وتارة يتحايل، وتارة يزوغ، وتارة يروغ لأنه يريد ما لا يريده الله ﷻ له ولأولاده وبنيه، فقد قدّر الله ﷻ في الرزق، على سبيل المثال قوت الأجسام وبينه النبي ﷺ في خير الكلام وقال: { بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكْلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ }٨٠..

فجعل الغذاء دواء لتسيير هذا الجسم بأمر خالق الأرض والسماء فإذا زاد عن الحد، تعبت أجهزة الهضم وزاد نصيب الإنسان في دمه من غذائه، فيتعب ويمرض ويطلب العلاج وقد يكون قد استدان ليأكل ما ليس الجسم في حاجة إليه، وقد يستدين أيضاً ليتعالج من مرض جلبه إسرافه عليه !!! ، فلو اختار طريق السماء ما احتاج أن يمد يده إلى الوسطاء.

ورد أن رجلاً ذهب إلى الحسن البصري واشتكى من الجوع، ثم جاء وراءه رجلٌ آخر يشكو من التخمة وسوء الهضم ويرجو دواء يهضم به طعامه! فقال ﷺ: لو كان ما زاد في بطن هذا، في بطن هذا ما اشتكى هذا ولا هذا. وأنتم تعلمون جميعاً أن الثُلّة المباركة والتي يقول فيها الله ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩الفتح)، أرسل إليهم المقوقس عظيم مصر طبيباً فردّوه وقال ﷺ قولته المشهورة للطبيب : { ارجع إلى أهلك نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع }[٨١] يعنى فمن أين يأتينا المرض؟

كيـــف نأكـــل يا رب؟ ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (الأعراف)، ولذا قال ﷺ: { الإِقْتِصَادُ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ }٨٢ ، وقال :{ مَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ } ٨٣ والذي يحتاجه جسم الإنسان الذي قدره له في الرزق الرحمن ﷻ، ما زاد يحتاج إلى النصب والاحتيال وإلى العلل والأسقام، والأدوية، والأمراض، فمن اتبع الشريعة السمحاء عافاه الله من سؤال الناس، وشفاه الله ﷻ من الرجس والألباس، وجعله في أحسن عافية حتى يلقى رب الناس ﷻ، ثم بعد ذلك يحتاج الإنسان إلى كم محدود من الملابس يكفيها ما قدره له الرزاق لكنه لا يرضى بذلك كل يوم يريد أن يشاهدالفترينات، ويأخذ منها أحدث الموضات، ويرمي ما خلفه، ويا ليته ينتفع به كما أمر الشرع الشريف، فقد ورد فى معنى الحديث الشريف أن رجلاً في زمانه ﷺ كان في النزع الأخير وسمعوه يهذي ويقول: ليته كان كله!، ليته كان جديداً!

---

٨٠ عن المقدام بن معد يكرب أخرجه ابن حبان وابن ماجة.
٨١ كان الطبيب من ضمن هدية المقوقس حاكم مصر إلى النبي ﷺ، فقبل ﷺ الهدية ورد الطبيب رداً جميلاً، سيدنا مُحَمَّد ﷺ والسيرة الحلبية
٨٢ عن أنس في الدرر المنتثرة.
٨٣ مصنف ابن أبي شيبة ، ومجمع الزوائد وجامع المسانيد عن عبد الله بن مسعود

.. فساقوا الخبر إلى رسول الله ﷺ ففسر لهم ما سمعوه، فقال صلوات الله وسلامه عليه: إن هذا الرجل كان يأكل رغيفاً فجاءه سائل فقطعه نصفين، أكل نصفاً وأعطى السائل النصف الآخر ... فلما عاين الأجر والثواب في سكرات الموت قال: يا ليته كان كله للسائل، وكان لا يلبس ثوباً جديداً إلا وأعطى القديم للفقير، فلما عاين أجره وثوابه قال يا ليته كان الجديد ...

ونحن كم لنا من جديد في بطون الدواليب تقضي عليه العتّة ويهلك من كثرة الخزن، لا نلبسه ولا نوزعه ثم نشتكي الفقر والحاجة ونقول دُخولنا لا تكفينا، ونسى المرء فينا أن زينته بجمال وجهه، وليس بجمال لبسه، وجمال وجهه لا يكون إلا بعبادة الله وطاعة الله فقد قال ﷺ: **{ شَرَفُ الْمُؤْمِنِ صَلاَتُهُ بِاللَّيْلِ وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ}**[٨٤]: ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (٢٩الفتح)، ليس من الزينة الحسية وإنما من الزينة الإيمانية الروحانية، من تقوى الله، وخوف الله، والعمل بما يحبه الله ﷻ ...

والمصيبة أنه قد يكون عند الإنسان ما يكفيه، ويطلب ما يطغيه، فلا يسع الرزق الذي قدره له الله فيه فيبحث يميناً وشمالاً عما لم يحلّه له الله ليعطي لنفسه ما تشتهيه فيقع فيما قال فيه ﷺ: **{ عَلَيْهِ أَمَانَةُ النَّاسِ لاَ يَسْتَطِيعُ أَدَاءَهَا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهَا }** وقد يكون ذا منصب مرموق! ومهام وظيفته تقتضيه العمل ليل نهار! ومع ذلك يريد أن يكون له مزيد من الوجاهة، فيكلف نفسه بأعمال إضافية، وهو لم يقم بالأعمال الأصلية، فيمنع المعروف في هذه الأعمال عن المؤمنين لأنه وكل بها ولم يقم بها وحمل نفسه المسئولية أمام نفسه وقومه وأمام ربِّ العالمين ﷻ لأنه حمل نفسه بأعباء لا يطيقها.

لقد كان عمر بن الخطاب ﵁ عندما تحمل أعباء الرعية لا ينام ليلاً ولا نهاراً إلا غفوة بعد صلاة الصبح يقوم بعدها مسرعاً ويقول: لقد طال نومك يا عمر فيقولون له لِمَ لَمْ تعطي جسمك حظّه من النوم؟ فيقول ﵁:**{ أنا إن نمت نهاراً ضيعّت رعيتي وإن نمت ليلاً ضيعت نفسي }**[٨٥] فجعل ﵁ النهار لرعيته والليل لربه ﷻ. فكان نهاره في خدمة العباد، وليله في طاعة ربِّ العباد ﷻ. **{ كُلُّكُمْ رَاعٍ. وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ }**[٨٦].

فقد كلّفنا الله بأولادنا نسعهم بأرزاقنا على قدر ما قدّره المولى ﷻ لنا، لم يكلفنا أن نخرجهم إلى المصايف أو المشاتي إلا إذا وجدت معنا الاستطاعة وأمنا من غشيان المساخر أو المحرمات، لكن لم يكلفنا أن نستدين ونحمل أنفسنا أثقالاً فوق أثقالنا لنخرجهم إلى المصايف أو

---

٨٤ رواه الطبراني في الأوسط

٨٥ تاريخ دمشق عن أبي القاسم العلوى.

٨٦ صحيح البخارى ومسلم عن ابن عمر.

إلى المشاتي، وإنما علينا أن نطعمهم من الحلال ونوفر لهم العلم والصحة والسكن الذي على قدر وسعنا. قدر الله لنا سكناً على قدر أرزاقنا، لم يكلفنا بأن نستدين آلاف الجنيهات مما نعجز عنه ونرثه ونتركه تركة عاجزة لأبنائنا لنشتري لهم سكناً فوق طاقتهم وطاقتنا، وإنما علينا أن نتحمل ظروف الحياة ونكيّفها بالرضا لنرضى عن الله، فمن لم يرزقه الله الرضا فلن يرضى ولو مَلَك كل مُقدرات البشر في هذه الحياة ...!!

قال ﷺ { مَنْهومانِ لا يَشْبَعانِ طالِبُ عِلْمٍ وطالِبُ دُنْيا }٨٧، لكن الرضا هو الذي يكيف الأمور، ويُصلّح الدهور، ويجعل المرء مستعداً ليوم العرض والنشور لأنه يمشي على قدر ما قدّره له المولى ﷻ، لم يكلفنا الله أن نشتري أثاثاً بالتقسيط، فما لا نملك شرائه الآن فلنصبر حتى يُحضر الله الخير الذي نشتريه به في أوانه ووقته، لم يكلفنا الله أن نقترض بالربا فنحمّل أنفسنا أعباءاً لا طاقة لنا بها، وإنما المسلم يسير على قدر ما أفاض به الله عليه، فتحنا على أنفسنا أبواب التقسيط واستسهلناها، وأبواب القرض بالربا وسهّلناها، فأصبح الرزق موزعاً نصيباً للأقساط، ونصيباً لسداد القروض، ونصيباً للمصائف والمشاتي، ونصيباً لكذا وكذا، ثم يشتكي المرء ويقول: من أين أطعم أولادي؟ ومن أين أسدّ لهم حاجاتهم؟

فإذا سأله امرؤ وعنفّه لمَ تأخذ الرشوة؟ فيقول إن رزقي لا يكفيني وأنا في ضرورة وهي مباحة لي، فيفتي نفسه ليوقع نفسه في غضب الله ولا يشعر، لأن المؤمن لا يستدين إلا لضرورة قصوى، عندما لا يوجد في بيته طعام، أو تعرض أحد أولاده لجراحةعاجلة وليس معه ما يسد تكاليفها، أو أمر من هذا القبيل لكن لا يستدين لشراء فيديو، ولا يستدين لشراء ثلاجة، ولا يستدين لفسحة في إيطاليا، ولا يستدين لسهرة هنا أو هناك، فكل هذه أمور لا يبيحها له شرع الله، ولا يستدين أيضاً لعمل حفلة لعيد ميلاد، أو حفلة عيد زواج أو ما شابه ذلك مما ننفق فيه جملة أرزاقنا ثم نشكو إلى الله، ونستبيح المحرمات ونحمل أنفسنا الإثم تلو الإثم لأننا كما قال الله ﷻ لنا في حديثه القدسي: { ابْنَ آدَمَ عِنْدَكَ مَا يَكْفِيكَ وَأَنْتَ تَطْلُبُ مَا يُطْغِيكَ، ابْنَ آدَمَ لاَ بِقَلِيلٍ تَقْنَعُ وَلاَ بِكَثِيرٍ تَشْبَعُ، ابْنَ آدَمَ إِذَا أَصْبَحْتَ مُعَافىً في جَسَدِكَ آمِناً في سِرْبِكَ عِنْدَكَ قُوتُ يَوْمِكَ فَعَلَى الدُّنْيَا الْعَفَاءُ }٨٨.

قال ﷺ: { اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ. فَإِنَّ نَفْساً لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا}٨٩. أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

---

٨٧ عن عبد الله بن مسعود رواه البيهقي والبزار والدارمي.

٨٨ عن ابن عمر في جامع الأحاديث رواه الطبراني في الأوسط.

٨٩ عن أبي حميد الساعدي رواه الحاكم.

الحمد لله الذي هدانا لهذا الإيمان، ولهذا الدين وجعلنا من عباده المسلمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبده ورسوله ... اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم، وأعطنا الخير، وادفع عنا الشر، ونجنا، واشفنا، وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. قال ﷺ: { **لَيْسَ لابْنِ آدَمَ حَقٌّ فِي سِوَى هَذِهِ الْخِصَالِ: بَيْتٌ يُكِنُّهُ، وَثَوْبٌ يُوَارِي عَوْرَتَهُ، وَجِلْفُ الْخُبْزِ وَالمَاءِ** }٩٠ فالمؤمن يطلب منه الله أن يستر عورته بالحلال الطيب ولا يزيد على ذلك، فلو كان يكفيه بدلتان للشتاء وبدلتان للصيف فلا يزيد على ذلك إلا إذا وسّع عليه الله من الحلال، لكنه لا يجوز له أن يرتشي أو يغش ليشتري مزيداً من الملابس بحجة أن ذلك يجعله يكون في المستوى اللائق بأمثاله في المجتمع، وكذا في كل أمر من أمورنا وأمر أبنائنا وأمر بناتنا وأمر أثاثنا وفراشنا وبيوتنا، فلو اتقينا الله في هذا الأمر فإن الخير سيفيض عندنا وسيصير أضعافاً مضاعفة، ولكننا نتبع النفس وأهواءها والشهوات والملاذ ومستحسناتها، فذلك الذي يوبقنا ويفرقنا !!

والذي يتعبنا أكثر إننا ننظر إلى من فوقنا في الأرزاق وقد قال الله ﷻ ﴿ **وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ** ﴾ (٧١النحل)، وليست العبرة بالرزق ولكن الكرامة عند الله ﷻ بالتقوى. ما الذي يحفظ المرء؟ الوصية النبوية – احفظوها وعوها – في قوله ﷺ: { **انْظُرْ إِلَى مَنْ تَحْتَكَ وَلاَ تَنْظُرْ إِلَى مَنْ فَوْقَكَ إِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرِي نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ** }٩١، انظر إلى من هو فوقك في الدين، فنحن نقنع بأقل الأعمال الصالحات ونقنع أنفسنا ونقول نحن خير من فلان وفلان وفلان، أنا أصلي وفلان لا يصلي، مع أن المؤمن عنده دائماً طمع في مزيد من عبادة الله وطاعة الله لأنها نصيبه الذي يأخذه من دنياه وهو خارج منها للقاء الله ..

وفي ذلك يقول لنا الله ﴿ **وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ** ﴾ (٧٧القصص)، ما النصيب الذي تأخذه معك؟ العمل الصالح والعمل الرافع والعمل المقبول عند الله ﷻ، فينظر الإنسان ما هو دونه وأقل منه في الدنيا، فيرى فضل الله عليه، ونعم الله عليه فيشكر الله فيزيده الله : ﴿ **لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ** ﴾ (٧إبراهيم)، وقبل أن تكون الزيادة في الكم تكن الزيادة بركة من الله في الرزق القليل فيقوم مقام الكثير، يبارك الله في بدني ويحفظه من الأمراض فيوفر على نفقات الدواء والعلاج، يبارك الله في ولدي فيفقه العلوم فيوفر علي نفقات الدروس، يبارك الله في طعامي وأولادي فما يكفي الواحد يكفي الجماعة ..!!، وما ننفقه في شهر يكفينا عاماً كاملاً

---

٩٠ رواه الترمذي والحاكم

٩١ رواه الطبراني وابن عساكر عن أبي ذر

..!! ، يبارك الله في ملابسي فالذي ينفق في عام يعيش حتى أملَّ منه وأعطيه للفقراء والمساكين والأيتام ..!! لأن الله ﷻ باركه بقدرته ....، وهذا نصيب المؤمن من شكر الله، إذا شكره ﷻ على عطاياه.

أما ما نراه الآن فمجتمع لا يشكر الله لا على قليل ولا كثير كلما جالست أحداً وجدته غير راض عن الله حتى ولو فتح الله له كنوز الحياة، الكل غير راض وغير شاكر! ما النتيجة؟ كما نرى الآن ذهبت البركة وصعدت للسماء، ووكلنا الله إلى أنفسنا ولا نستطيع أن نقوم بأقل أمورنا ولا أبسط همومنا إذا وكلنا الله ﷻ إلى أنفسنا، < ثم الدعاء >>.

الخطبة العاشرة[92]

حكمة المعراج

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي أنار قلوبنا بنور القرآن، وسنة سيد الأولين والآخرين، وجعل فيهما العصمة والحفظ لنا في الدنيا، والنجاح والفلاح في يوم الدين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا يحده مكان، ولا يحيزه زمان، ولا تحيط به أفلاك ولا أكوان، كان قبل خلق الزمان والمكان إله واحد أحد فرد صمد ليس كمثله شئ وهو السميع البصير، فأوجد الزمان والمكان وهو على ما عليه كان، ويفنى الزمان ويذهب المكان ويبقى الرحمن بجلاله وجماله وكماله، لا كفء له ولا ضد له ولا ند له ولا مثيل له وهو المنزه في ذاته وصفاته عن جميع ما يخطر بالأوهام والعقول: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ (سورة الإخلاص).

وأشهد أن سيدنا مُحَّمداً عبد الله ورسوله،وصفيه من خلقه وخليله، الذي قربه ربه وأدناه، وفتح له أبواب العناية بفضل الله حتى وصل إلى مقام في الكمال لم يصل إليه أحد سواه، ومع ذلك فالله ﷻ في قدرته لا منتهي لكمالاته ولا يصل واصل إلى كنه ذاته.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَّمد وعلى آله وصحبه وسلم، صلاة تحل بها العقد، وتفرج بها الكرب، وتزيل بها الضرر، وتهون بها الأمور الصعاب، صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يا ربَّ العالمين.

---

٩٢ كانت هذه الخطبة بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين – جيزة يوم الجمعة الموافق ٣٠ من رجب ١٤١٩هـ – ١٩٩٨/١١/٢٠م.

أما بعد.. فيا أيها الأخوة المؤمنون.. ما أعظم حكم الإسراء والمعراج، وما أكثر مننها على المؤمنين، ولكني أذكركم وأذكر نفسي معكم بمنَّة واحدة، إذا وعيناها وفقهناها نلنا بها رضوان الله ﷻ في الدنيا والآخرة.

فقد كان من حكمة هذه الرحلة العظمى إظهار كمال توحيد الله، وإنه جل وعلا ليس في زمان ولا مكان، وفوق الطاقة والإمكان، لا يظهره الحدثان الليل والنهار، ولا تلحظه العينان، ولا يخطر ببال أي إنسان شئ ولو قليل من صفات ذاته أو قريب من كمالات نعوته وأسمائه وصفاته، لأنه ﷻ حير الأفكار، ونوع الأقدار، وأقام الأقطار كلها تشهد في صنعتها على بديع صنع الواحد القهار ﷻ.

فقد كان السابقون لنبينا من الأمم غير الأنبياء والمرسلين فهم معصومون ينسبون لذات الله ﷻ مكاناً يظهر فيه وزماناً يتجلى بقدرته فيه، فأخذ الله ﷺ الحبيب ﷺ وذهب به إلى كل عوالم الأكوان، بل كل عوالم أنشأها مكون الأكوان، حتى وصل إلى حيث لا زمان ولا مكان، فالزمان والمكان هنا يحيزهم ويظهرهم تعاقب الليل والنهار والشمس والقمر، أما في عوالم الملكوت العليا فلا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار، بل فلك دوار بأمر الواحد القهار، لا يعلم قراره حتى سكانه من الملائكة الأبرار، والكل يُسلم أمره للواحد القهار ﷻ. ليس عندهم سَنَة ولا يوم ولا شهر لأن الذي يحدد ذلك الليل والنهار والشمس والقمر ..

فجاب ﷺ عوالم السماء عالماً بعد عالم حتى وصل إلى سدرة المنتهى وهي التي ينتهي عندها علم الخلائق أجمعين من الجن والإنس والملائكة المقربين وأهل عالين وأهل عليين، فكل أصناف الخلائق ينتهي علمها عند سدرة المنتهى ولا يعلمون ما ورائها من العوالم، ولا من خلفها من عوالم الطهر، والبهاء، والضياء، والجمال، والكمال لأن هذا أمر مخصوص بسيدنا ومولانا رسول الله ﷺ. فأوقف الله الرسل في السموات، كل رسول وقف حيث انتهى علمه الذي علمه له الله وأعلاهم قدراً سيدنا إبراهيم خليل الله. وكان يقف مسنداً ظهره إلى البيت المعمور ورائه ملائكة كل سماء حيث مكانتهم في الطهر والضياء بحسب ما علّمهم آدم عليه السلام كما أنبأ الله من الأسماء ...

وأعلاهم قدراً جبريل الأمين، وقد وقف عند سدرة المنتهى وقال إلى هنا انتهى مقامي قال: يا أخي يا جبريل أها هنا يترك الخليل خليله؟ قال: يا مُحَمَّد أنا لو تقدمت قدر أُنملة (مثل طرف الأصبع) احترقت وأنت لو تقدمت لاخترقت، فعلم أن حدود علمه عند هذا المكان والذي قال له الله ﷻ ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ (النساء)، اخترق وتجاوز إلى قاب قوسين أو أدنى، ليعلمنا الله ويعلم رسل الله وأنبياء الله وملائكة

الله أن هذا النبي الكريم ﷺ أعلاهم علماً، وأفضلهم مقاماً، وأرفعهم تكريماً ودرجة عند الله، لكن ليس معنى ذلك أن هناك وجه لله ﷻ. فالله ﷻ كما قال لنا أجمعين: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٤الحديد) ... ولذلك تفضل علينا وعليه بالصلاة حتى نعلم علم اليقين أن القرب بيننا وبين حضرة الله ليس قرب زمان !! ولا تلاشي مسافات ..!! ..ولا إذهاب حدود ولا اتجاه إلى جهات..!! ..، وإنما القرب بينك وبين الله أن تدني قلبك في مناجاتك لحضرة الله ...، وتغلق أمام أذن قلبك ما توسوس به نفسك ... مما رأيته أو شهدته أو سمعته من أقوال.

في حالة المناجاة تجد الله ﷻ معك، وتجد الله ﷻ في قلبك، وتجد الله ﷻ أقرب إليك من كل شئ لك أو في نفسك أو من حولك، أقرب إليك من زوجك التي بجوارك ومن أولادك الذين معك، بل من نفسك التي بين جنبيك لأنه ﷻ أقرب إلى كل شئ من نفس الشئ ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ (٨٥الواقعة) .. أين الله؟ في قلب كل عبد مؤمن بالله، ليس في السموات وإن خلقها .. وكورها .. وأبدعها .. وصنعها ..، وليس في الأرض وإن كانت لا تخلو ذرة من عوالم الأرض من وجود قدرته، ومن بصمة حكمته، ومن إبداع صنعته، لكن الله ﷻ في قلوب المؤمنين.

قال سيدنا موسى عليه السلام وهو يكلم مولاه: يا ربَّ أين أجدك؟ قال: تجدني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي. في قلوب المؤمنين، وفي إيقان الموقنين، وفي إسلام المسلمين، فعندما يعلم المرء منّا أن عين الله ترعاه، وأذن الله ﷻ تسمع حديثه ونجواه، والله ﷻ مطلع على كل ظاهره وخفاياه ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ (٧طه).

يكون في هذا الحال وليس في هذا الوقت. يكون في هذا الحال مع الله بلا زمان ولا مكان ولا حيطة ولا إمكان ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (٤الحديد)، فإذا اتجه إلى أي جهة وقال يا رب، سمع نداه ولباه وقال: لبيك عبدي لك ما تريد مني ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ (١٤٤البقرة). إن كان في البحر أو في البر أو في الجبل أو في مكان محصور أو حتى في بطن الحوت. فقد سُئل رجل من الصالحين عن أقرب ما يكون العبد من ربه قال: أما سمعتم قول رسولكم ﷺ { أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ }[93] وهو في حالة السجود وقد نسى كل ما أحاط به من شوارد الأفكار ومن نوازع النفس والأهواء، واشتغل بكله بالله ﷻ في حالة الصفاء.

٩٣ عن ابن مسعود رواه أبو يعلى في صحيح ابن حيان.

إن يونس عليه السلام عندما ابتلعه الحوت وكان في بطنه، والحوت في قاع البحار والمحيطات، ناجى الله فماذا قال لحضرة الله؟ كأنه في قاب قوسين أو أدنى وهو في حال المناجاة لأنه يقول ﴿ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (٨٧الأنبياء). ما الدليل على ذلك؟ ردَّ الله عليه حيث قال عز وجل ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَـٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (٨٨الأنبياء)، استجاب له وهو في بطن الحوت ليعلمنا عز وجل أنه ليس بينك وبينه مسافات، ولا يفصله عنك حدود ولا حواجز ولا جهات، وإنما الذي بينك وبين الله هو الذنوب والعيوب التي تُغطي على صفحة القلب. فإذا أزلت الذنوب بالتوبة النصوح وأزلت العيوب بكثرة الذكر لله، كشف الله عز وجل حجاب قلبك فكنت من أهل الحضرة العلية فتناجي الله وتسمع تلبية الله لندائك وأنت في المناجاة أو وأنت في الصلاة ...

ولذا في ذلك يقول صلى الله عليه وسلم: { إن العبد إذا أذنب ذنباً كان نكتة سوداء على قلبه فإذا توالت الذنوب فذاك الران (يعني الغطاء أو الستار) ثم تلى قول الله عز وجل ﴿ كَلَّا بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ (١٤-١٥المطففين) ﴾} ٩٤، إذاً من أين الحجاب؟ من العيوب والذنوب يا أحباب !!! وذلك كما أنبأ الله في الكتاب، فإذا محوت الذنوب بالتوبة والندم والاستغفار وأزلت العيوب بكثرة الذكر لله في الليل وفي النهار، ورفعت الحجب والأستار كلما قلت يا رب، لباك ....

وفي هذا يقول سيدي جعفر الصادق رضي الله عنه : { كلما احتجت إلى شئ قلت يا ربِّ عبدك جعفر يحتاج إلى كذا فما استتم كلامي إلا وأجد هذا الشئ بجواري }. وقال الإمام علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه عندما سألوه كيف حالك مع الله؟ قال: { إذا دعوت أجابني، وإذا طلبت أعطاني، وإذا سكتُّ افتتحني بالكلام }. ...

فكانت حكمة الصلاة لنعلم أن الله معنا فالصلاة تليفون محمول لا تدفع له الرسوم وليس له وقت معلوم، تخاطب به في أي زمان ومكان الحي القيوم، وتجده أقرب إليك من كل شئ، نجدة إلهية لمن يستغيث بها في كل بلية.

قال قوم يا رسول الله: { أربنا قريب فنناجيه؟ أم بعيد فنناديه ؟ }[٩٥] فنزل في الحال تلكس إلهي من الواحد المتعال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾ (١٨٦البقرة) . ...

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

٩٤ عن أبي هريرة رواه أحمد والترمذي وابن ماجة وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.
٩٥ منازل السالكين بين إياك نعبد و إياك نستعين، مجموع فتاوى ابن تيمية

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي هدانا إلى هذا الخير، وجعلنا من خيار عباده الموحدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يوالينا بالخير، ويصرف عنا البلاء في كل طرفة عين، وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبد الله ورسوله، جاءنا بشهادة التوحيد وبالتنزيه الحقيقي للحميد المجيد.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد، بيت الله المعمور بالله، ونور الله الدال على الله، واجعلنا جميعاً من حزبه يوم لقاءك يا الله ... أما بعد..

فيا عباد الله جماعة المؤمنين.. كان فضل الله علينا بالإسراء عظيماً، فإن من قبلنا قد ضلوا الطريق فجعلوا حائطاً للبكاء لمن أراد أن تمحى ذنوبه، ولا تمحى إلا إذا ذهب إلى هذا الحائط وبكى الدموع، والآخرين جعلوا التوبة مربوطة بقلب رجل يذهبون إليه ويجلسون بين يديه ويعترفون له دون الله بذنوبهم وفي يده محو ذنوبهم أو عدم قبول توبتهم، لكن الله تجلى لنا فلم يجعل بيننا وبينه مكان ولا زمان ولا حاجز ولا حائط وإنما الله معنا حيثما توجهنا وهو في قبلتنا حينما صلينا، ويسمع نداءنا إذا نادينا على أي حال كنا، وفي أي زمان كنا، أخبرنا ﷻ بإنه لا يحتاج إلى واسطة بيننا وبينه إلا أن نزيل الجفا الذي على القلوب، ونمحو الستائر التي تحجب القلوب عن حضرات علام الغيوب ... ثم بعد ذلك لا يزال الله منك على بال تذكره أينما توجهت، ولا يزال لسانك رطباً بذكره فتكون في أي مكان وفي أي زمان وأنت على أي لون وعلى أي شكل وعلى أي حال فقير أم غني لا يهم ...

المهم هو تقوى الله، هي التي تقربك من الله ﷻ. ما الذي يجعلك قريباً من الله؟ أن تعمر قلبك بالإيمان وتقوى الله لا تحتاج بعد ذلك إلى أحد فلو ملكت التقوى وأنت ها هنا والله معك حيثما تحدثت ويلبيك فيما أردت، وإذا كان معك مال وذهبت إلى الحرم الشريف وطفت حوله بدل المرة سبعين لكن قلبك مشغول بالدنيا عن الله، وعن الدين فهل يكرمك الله كما يكرم عباده المتقين؟ لا. لأنه قال ﷻ ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ (٢٧المائدة)، وانظر إلى عظمة النبي الكريم إذ يروى سيدنا رَبِيعَةَ بْنُ كَعْبٍ الأَسْلَمِيُّ قال: { كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ. فَقَالَ لِي: سَلْ، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ قَالَ: أَوْ غَيْرَ ذٰلِكَ؟، قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ }٩٦ فدله على الطريق الصحيح صلوات الله وسلامه عليه ...

فإذا أنت سهوت أو نسيت أو غفلت أو شغلت بالدنيا عنه ﷻ فارجع إليه وتب إليه وهو ﷻ ﴿ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٢٢٢البقرة). .... << ثم الدعاء >>.

٩٦ صحيح مسلم

الخطبة الحادية عشرة[٩٧]

حكمة الإسراء إلى بيت المقدس

الحمد لله ربِّ العالمين، الظاهر بنعوت جماله، ومعاني كماله، وعزته وجبروته وقوة بأسه، وواسع جوده وعطفه ورحمته ظهر بذلك قبل خلق الأكوان وهو على ذلك إلى أن ينتهي الزمان والمكان، لأنه كان ولا شئ معه وهو الآن وبعد الآن على ما عليه كان. سبحانه سبحانه قُربه من عبيده وقرب عبيده منه لا بمسافات وأقطار، ولا بحدود وأبصار ولا في ليل أو نهار لأنه ﷻ تعالى تعالى عن الزمان والمكان، وتسامى عن الليل والساعات والنهار والزمان والآوان وإنما يقرب من عباده بنعوت ودّه وبأوصاف قربه وبأنوار حبه ويقرب منهم قرباً معنوياً، لا يوصف بالحروف ولا تُسعف الألفاظ لذكر بعض صفاته فيما يتعلق بالخلق أو بحضرة ذاته، وإنما هو قرب من قريب في علّوه إلى إنسان دان في سُفله بكيفية غيبية لا يعلمها إلا هو لأنه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا يظهر في جهات ولا تلحقه الحركات ولا تستطيع أن تشير إليه الكلمات والعبارات، ولذا عَلِم عجز خلقه عن وصفه، فوصف نفسه بنفسه لهم وقال في قرآنه ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤ ﴾ (سورة الإخلاص).

وأشهد أن سيدنا مُحَّمداً عبد الله ورسوله إمام المقربين، وسيد الأنبياء والمرسلين، وخير من عرف مولاه بتعريفه له في كتابه العلي المبين، فهو أعرف العارفين بمولاه، وأعلم الخلق أجمعين بصفات الله، وأول من خلقه الله عابداً له في حضرته، وأعلاهم شأناً في دينه وشريعته وأكبرهم عِظماً وخطراً في شفاعة الخلق بدخول جنته ... اللهم صلِّ وسلم وبارك على الرحمة العظمى لجميع العالم، سيد ولد آدم ولا فخر، صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود، والكوثر المشهود وصاحب قول الحق ﷻ ﴿ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ﴾ (٣البروج)، سيدنا مُحَّمد كنز الرحمة الإلهية لكل الوجود، وآله أقمار السعود وصحابته المباركين الشهود، وكل من تبعهم بإحسان إلى يوم العرض والورود وعلينا معهم أجمعين آمين آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا عباد الله جماعة المؤمنين.. ربما يتسائل بعض المسلمين لسماعهم كلام بعض المشككين ... لماذا أمر الله ﷻ حبيبه ومصطفاه أن ينتقل من البيت الحرام بمكة – وهو أول

---

٩٧ كانت هذه الخطبة بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين – جيزة يوم الجمعة الموافق ٢٧ من رجب ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩/١١/٥م.

بيت أوجده في كون الله وأعلى حرم جعله الله لعبادته في هذه الحياة – إلى بيت المقدس قِبْلَة الأنبياء والمرسلين السابقين؟

وهذا كلام لا مِرْية ولا شك فيه لأن الذي أخبر بذلك هو الله في كتابه الذي لا يتغير ولا يتبدل بحفظ الله ﷻ له حيث قال جلّ شأنه وتبارك اسمه ولا إله غيره ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (١الإسراء) ... كان إسراؤه ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى لحكم تعالت عن العدّ، وتناهت عن الإحصاء والحدّ، لا يحصيها في جملتها إلا الواحد الأحد، الفرد، الصمد، لكن لابد لنا من ذكر بعضها تأنيساً للقلوب وتثقيفاً للعقول وتطميناً لنا أجمعين لنعلم أن الله ﷻ أعلم بما ينفعنا ويصلحنا أجمعين في الدين والدنيا والآخرة:

فمن جُملة ذلك أن هذا كان إعلاناً لجميع البشرية بحضور جميع الأنبياء والمرسلين أن هذا الدين المتين الذي أنزله الله ﷻ على أمير الأنبياء والمرسلين، هو امتداد لرسالات السماء ووحي الله لعباده من الأنبياء والمرسلين، وهم جميعاً يدعون إلى مكارم الأخلاق، وتوحيد حضرة الخلاق، وليس بينهم في الحقيقة خلاف ولا شقاق، وإنما الخلاف والشقاق جاء من دخول الأهواء في قلوب بعض العلماء، أو دخول شهوات الدنيا في بعض القائمين على الديانات بعد رسل السماء، لكنهم جميعاً كما قال فيهم صلوات الله وسلامه عليه: { الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلاَّتٍ وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى }٩٨ فكلهم جاءوا بدعوة واحدة وبمكارم طيبة صافية وهي مكارم الأخلاق، وتوحيد حضرة الخلاق ﷻ.

ولما كان كل رسول يُرسل إلى قومه خاصة فقد كان الله يخصه بالتعليمات التي تناسب زمانه وقومه وعصره فلما جاءت الرسالة الخاتمة الصالحة لكل الأزمان ولكل الأمكنة ولكل القدرات البشرية في شتى مناحي هذه الأرض، أكمل الله رسالته وأسبغ نعمته وأتم ديانته، فظهر فيها تمام مكارم الأخلاق لقوله صلوات الله وسلامه عليه: { إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ }٩٩. فكل نبي جاء بخلق أو أخلاق تناسب زمانه، ولما جاء صاحب الكمال انتهى إليه جميع الصفات وجميع الجمال وجميع الكمالات فكان كما قال الله ﷻ في شأنه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ (٤القلم)، فجعله الله ﷻ وارثاً لنبوات السابقين أجمعين.

وكان من ذلك أيضاً إعلام الله ﷻ للخلق أجمعين أنه لا عصبية بين أصحاب الديانات السماوية، ولا يجب أن يكون بينهم تشاحن ولا تطاحن ولا نزاعات ولا إحن ولا فتن ولا

٩٨ مسند الإمام أحمد، صحيح مسلم.

٩٩ عن أبي هريرة، مالك في الموطأ والطبراني عن حديث جابر وأحمد من حديث معاذ بن جبل.

حروب لأن الله جعلهم جميعاً يؤمنون بالله رباً وبالإسلام ديناً، وإن كانوا وصفوا دينهم بشئ غير الإسلام فإن ذلك ليس بصحيح ونص على ذلك كتاب الملك العلام ﷻ، فجعل الله ﷻ العصبية منتهية وبذلك قال ﷺ { لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ }١٠٠.

وبعد ظهور الإسلام زالت العصبية الدينية فمن باب أولى أن تزول العصبيات الخلافية بين الجماعات والفرق الإسلامية، فليس في الإسلام مسلم سُنّي ومسلم بدعي ومسلم شيعي ومسلم وهابي ومسلم صوفي وإنما هم جميعاً مسلمون ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ (٧٨الحج)، وكلمة مسلم لا يجب أن تحيطها بهالة قبلها ولا بوصف زائف بعدها وإنما نأتنس جميعاً بالإسلام، ولا شئ يعلو على كلام الملك العلام ﷻ ...

فكل من فجّر نزاعاً بين المسلمين وبعضهم أو بين المسلمين وغيرهم من أهل الديانات السماوية فهو بعيد عن روح الدين، بعيد عن نهج سيد الأولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه، فقد جمع الله له المرسلين وصافحوه وصلى بهم إماماً واحتفوا به ورحبوا به بكلمات نيرة مشهودة ورحب بهم في كلمة جامعة موجودة، ثم بعد ذلك لما صعد إلى السماء كانوا فى إستقباله وكانوا حريصين عليه وعلى أمته لأنهم جميعاً مأمورين بتعضيده ونصرته فقد قال الله ﷻ لهم في الميثاق الذي أخذه عليهم: ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ﴾ (٨١آل عمران) ، أمرهم بنصرته فلم يكن ترديد موسى عليه السلام له في الصلاة كما يقول بعض الزائغين لولاية اليهود على الإسلام، أو وصاية موسى عليه السلام على نبي الإسلام، وإنما كان لأن الله أمره بنصرته وأمره أن يكون نصيحاً له في شريعته وأن يكون رحيماً وشفيقاً معه في أمته، ففعل كل ما أمره به مولاه ليفوز برضاء الله، لأن الله توّعد حتى الأنبياء من أن يخالفوا ما أُخذ عليهم من العهد والميثاق مع الله ﷻ، فالأديان كلها تدعو لكمال الأخلاق ومكارم الخصال، ولذلك كان في إسراءه ﷺ مشاهد جمة لا يتسع الوقت لحصرها أو ذكر بعضها ولكن كلها إذا تدبرنا في أمرها تدعو لمكارم الأخلاق وتدعو إلى حقوق الإنسان.

كم من مشهد يحرم الزنا ويفظِّعه ...، إلى مشهد يحرم الربا ويهوِّله ...، إلى مشهد يحرم الكذب وتوابعه ... إلى مشهد يحرم الغيبة والنميمة وما شابهها ..، إلى مشهد يوضح للإنسان أهمية محافظته على الصلاة والأهوال التي تنتظره إذا ترك اتصاله بمولاه ..، وكلها مشاهد نورانية تدعو المرء إلى القيام بحقوق الله وحقوق عباد الله التي دعا إليها رسول الله وجميع رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

---

١٠٠ عن جبير بن مطعم في سنن أبي داود، الفتح الكبير رواه أبو داود.

ياإخواني المسلمون إنه لا سمو للبشرية ولا صلاح لحال الإنسانية إلا إذا سادت بين شعوبها تعاليم الأديان السماوية وأخلاقها المرضية، فإنها الوحيدة التي تحارب في هذا الوجود النزعات العدوانية، والشرور النفسية، والأهواء الإبليسية بطريقة حكيمة نورانية لا تتمكن أي طريقة بشرية أو إنسانية من فعل ذلك، ولذلك عندما تركوا الأديان فسدت أخلاقهم وأحوالهم كما هو ظاهر في للعيان ...

فقد قالوا مثلاً في حقوق الإنسان: الإنسان حر في أن يصنع ما يريد فإذا شرب الخمر فلا عليه شئ، وإذا تعامل بالربا فهذا شأنه، ولكن شارب الخمر إن لعب به عقله وذهب عن حسه ونفسه وفعل ما يؤذي الآخرين، ويضر ما حوله من الخلق أجمعين هل هذه حرية؟! وهل هذه هي الأخلاق الإنسانية؟! وهل التزم بحقوق الآخرين كما يطالب بذلك من يقولون بحقوق الإنسان؟ وهل الذي يبتز أخاه الإنسان وينتهز فرصة حاجته ويعطيه المال بالربا أضعافاً مضاعفة ويجعله مهدود الكيان في البناء الاقتصادي لا تقوم له قومة، ولا ينهض له شأن لأنه لا ينتهي من دين حتى يدخل في ديون أخرى ويتحكم في الدائنون، ويوجهون سياسته، ويقومون بتنفيذ ما يطلبون، لأنهم هم الذين يفرجون عنه بإعطائه من الديون ما يفك به معضلاته الاقتصادية[١٠١]. هل هذه حقوق الإنسان؟!

حقوق الإنسان لا تكون إلا مع أخلاق القرآن وأخلاق النبي العدنان وأخلاق الأنبياء والمرسلين التي أرساها الله بهم في هذه الدنيا وفي عالم الأكوان، فكان مجيئه ﷺ إعلاماً بأنه يرث الصالح مما جاء به الأنبياء ويدع الطالح مما زاده هؤلاء وهؤلاء، وكان أيضاً بالإضافة إلى ذلك حفظاً لميراث داود وسليمان، فلو لم يذهب النبي ﷺ إلى بيت المقدس ما حافظ المسلمون على حرمته ولا باعوا النفيس والغالي والأرواح في سبيل نصرته وإنما الذي دفعهم إلى ذلك أنه ثالث الحرمين، ومسرى النبي الأمين، فهذا الذي دفعهم للحفاظ عليه والعمل على إعلاء شأنه لأنه مسجد اتخذه الله لرسله وأنبياءه، ورسولنا ﷺ يحفظ حقوق النبيين والمرسلين أجمعين لأنه هو المرسل رحمة للعالمين.

قال ﷺ: { **الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ. ارْحَمُوا مَنْ في الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ في السَّماءِ** }١٠٢، أو كما قال ....

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

---

١٠١ ولما حدث الإنهيار العالمى وتداعت الإقتصادات العظمى خرج المحللون الماليون الغربيون ليقولوا أن أفضل الحلول البنكية هو جعل فائدة الإيداع أو التوفير تصل إلى الصفر بالمائة ، أى لا ربا بأى شكل من الأشكال.

١٠٢ عن عبد الله بن عمر، رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، الواحد في علوه، المنزّه في تنزله في خلقه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا تراه العيون، ولا تدركه الآذان وإنما تدركه القلوب بحقائق الإيمان، وأشهد أن سيدنا مُحَّداً عبد الله ورسوله، النبي العدنان الذي اصطفاه الله وجعله رحمة لجميع بني الإنسان في الدنيا، وشفيعاً لهم يوم العرض على الرحمن في الآخرة.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَّد وعلى آله وصحبه وسلم واعطنا الخير وادفع عنا الشر، ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا عباد الله جماعة المؤمنين.. لو كان الله ﷻ أخذ حبيبه ﷺ من المسجد الحرام إلى السموات العلى مباشرة، لما كان هناك رد مقنع على الكافرين لأنه لو أخبرهم أنه عُرِج به إلى السماء، لم يصعدوا إلى السماء وليس معهم سؤال يسألوه ولا دليل به يطلبوه، وإنما عندما أخبرهم بأنه أسرى به إلى بيت المقدس وقد علموا بأنه لم يذهب إليه، وهم ذهبوا إليه وعرفوه، سألوه عن نعته ووصفه فجلاه الحق ﷻ له فوصفه لهم كما يعرفوه فقالوا أما الوصف فقد صدقت، وهذا دليل على صدقه في هذه الدعوة لكنهم لم يؤمنوا به لأنهم سبق لهم سوء الخاتمة من الله، ثم طلبوا دلائل حسية أخرى فأخبرهم بقوافلهم التي تسير إلى بيت المقدس وكيف أنهم مروا بقوم ندَّ لهم بعير (أي ضل) فناداهم وأخبرهم به فحصلوه، وأنه ذهب إلى قوم آخرين وكان ظمآناً من الماء وعندهم إناء مليئ بالماء فكشفه وشرب كل ما فيه وغطاه فلما كشفوه لم يجدوا فيه شيئاً ولكنهم لم يزدهم ذلك إلا عناداً!!

ثم طلبوا منه أمراً ظنوا أنه فوق طاقته فقالوا: إن كنت صادقاً فمتى ستأتي هذه القافلة؟ وهذا غيب لا يعلمه إلا الله، لكن الله أيده فقال ستأتي في يوم كذا ساعة العصر، فانتظروا ذلك اليوم وكانت الشمس تكاد تغيب والقافلة لم تأت، فدعا الله تعالى فاصفرت الشمس أو كما قالت الروايات الواردة .. ردّها الله بعد أن كانت قد توارت خلف الجبال والنخيل إلى كبد السماء حتى جاءت القافلة .. وقد كان قال لهم يتقدمها جمل (أورق) يعني مختلط لونه بين الأسود والأبيض، عليه غرارتان يعني (قفتان) وكان الأمر كما قال، جاءت القافلة في ميعادها وكما وصفها لهم، لكنهم كانوا ظالمين وبآيات الله يجحدون.

فكان ذهابه ﷺ إلى بيت المقدس ليثبت عليهم بالحجة والبرهان أن هذه الحادثة أجراها له الرحمن ﷻ. لكنها لو كانت مباشرة من البيت الحرام إلى السماء ماذا كانوا سيقولون؟ وكيف كانوا يطلبون الدليل أو البرهان؟ وهناك حكم كثيرة وأدلة عظيمة، جعلها الله ﷻ في إسراء حبيبه ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي نسأل الله ﷻ أن يطهره من اليهود والزائغين وأن يجعله

خالصاً للمسلمين والموحدين. وأن يحيينا حتى نتمتع ونفرح جميعاً بهذا النصر المبين وأن يعيننا ويصحح أجسامنا حتى نصلي فيه صلاة لرب العالمين .... << ثم الدعاء >>.

الخطبة الثانية عشرة[١٠٣]

منح الإسراء للأصفياء

الحمد لله ربِّ العالمين، الأحدي الذات، السرمدي الصفات، الذي لا يدركه أحد على كنه حقيقته ولو جاء بالمعجزات الكريمات لعلوه في عزته وجبروته عن الإدراك بالحيطات، لا تدركه العيون، ولا تصل إلى مكنون سره الظنون فكل ما خطر ببالك فالله تعالى وراء ذلك .. سبحانه سبحانه، تعالى وجهه عن الشريك، وتعالى في قدرته عن المزيد وتعالى في علو شأنه عن النظير وعن الوزير وعن المشير، قيوم لا يفوت علمه شئ، قادر لا يعجز أبداً عن شئ، حليم لا يسفه، واحد أحد فرد صمد، ليس كمثله شئ وهو السميع البصير.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كان ولا شئ معه قبل خلق الزمان وإيجاد الأفلاك والأكوان، وهو الآن وبعد الآن على ما عليه كان، فكما أنه ﷻ ما مسّ التراب ولا حسّه ولا جسّه فهو ﷻ ما مسّ العرش ولا حسّه ولا جسّه، العرش محمول بقدرته ومعمول بحكمته، وهو ﷻ في كنه ملكوته وعظمته يدرك الأشياء ولا يدركه أي شئ من الأشياء، ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء لأنه وسع الأشياء ولم يسعه شئ في الأرض ولا في السماء.

وأشهد أن سيدنا مُحَّمداً عبد الله ورسوله، اختصه الله ﷻ بحمل الرسالة، وبصفاء أنوار النبوة وبضياء معارج الفتوة وجعله فاتحاً خاتماً أيّده بنوره وأظهر له ما يبهر قدره الكل من نوره، واصطفاه هادياً للخلق في الدنيا وشفيعاً لهم أجمعين يوم الدين.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَّمد، قطب دائرة الأفلاك والذي رأت عيناه من قدرة الله ما لم صل إلى رؤيته أمة الأملاك، وأعطاه الله ﷻ من العلوم والحكم ما جعله بفضله وقدرته نبياً فريداً وحيداً في أخذه ورسالته وشريعته، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين. آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. فيا عباد الله جماعة المؤمنين.. سمعنا من رب العالمين خطاباً وجيزاً في كلماته، حكيماً في ألفاظه وعباراته، معجزاً في معانيه وأسراره وبلاغته، يتحدث عن رحلة أخذ الله فيها

١٠٣ كانت هذه الخطبة بمسجد سيدي مُحَّمد أبو عامر بمدينة الزقازيق وم الجمعة الموافق ٢١ من رجب ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩/١٠/٢٩م.

حبيبه ومصطفاه من بيته الحرام إلى دار هجرته إلى بيت المقدس حيث صلى بالنبيين أجمعين إماماً ثم عرج به إلى السموات العلى، سماءاً وراء سماء فهو كما قال ﷺ: { **بَيْنَ كُلِّ سَماءٍ إِلى السَّماءِ الّتي تَليها مَسيرَةُ خَمْسمائَةِ سَنَةٍ** }[١٠٤] ثم أراه الجنة وما فيها والنار وما أعده للكافرين والمشركين والعاصين فيها، وعوالم العرش، وعوالم الكرسي، وعوالم لا يدريها أحد إلا الله، ورجع بعد ذلك وفراشه ساخن لم يبرد بعد !!!

وأخبر ﷺ عن كل هذه الرحلة بما رأى فيها وما دار أثناءها، ورد على جميع الشاكين والمشككين والمرتابين وأهل الزيغ أجمعين في آية واحدة وعبارة واحدة حوت كل ذلك فكان فيها إيجاز وألغاز وبيان وروح ووضوح وهذا جمال الإعجاز ولا يقدر على ذلك إلا الله. رحلة لو أخذ الإنسان في سرد بعضها لاحتاج إلى ملايين السنين يسوق الله ﷻ أخبارها في آية واحدة يقول في مجملها وفي محكمها وفي موجز هذه الرحلة الإلهية ﷻ ﴿ **سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ** ﴾ (١الإسراء).

وهنا أسوق لكم تعليقاً سريعاً على هذا الموجز الرباني، كلمة سبحان الذي أسرى غلقت الأبواب أمام كل متشكك ظهر في الكون أو سيظهر إلى يوم العرض والحساب فمن يقول كيف ذهب ثم عاد وفراشه لم يبرد؟ وكيف رأى ما رأى ولا يستطيع الإنسان مهما قدر أن يرى بعض ما رأى إلا في آلاف السنين!!، لكن ربَّ العالمين أخبر أن هذه المعجزة وهذه الحادثة تولاها الله من البداية إلى النهاية وما دام الأمر أمر الله، وتعلق بقدرة الله، فقدرته لا يعجزها شئ ولا يقف أمامها شئ.

فلو كان الإسراء منسوباً إلى النبي ﷺ لذاته بدون تأييد من مولاه أو كفالة ورعاية من حضرة الله كانوا ربما يخالطهم بعض شك مع أنه نصاً محفوظ في كل أموره بحفظ الله ﷻ فكلامه يقول الله فيه ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤** ﴾ (٣-٤النجم) ، وبصره إلى كل منظر ورؤيته إلى كل جوهر وباطن ومظهر يقول الله في شأنها ﴿ **مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ** ﴾ (١٧النجم) ، كل كلامه صدق وأكيد لأنه وحي من الحميد المجيد ﷻ فالذي أسرى به هو الذي خلق السموات والأرض وهو الذي خلق الإنسان، وهو الذي خلق الأكوان، وخلق الزمان، وخلق كل شئ في الكون أو خارج نطاق الأكوان، والذي بيده القدرة الصالحة لكل ما يعلم الإنسان وما لا يعلمه الإنسان لأنه هو الذي معه القدرة المطلقة وهو الرحمن ﷻ، فما دام

١٠٤ المستدرك للحاكم عن العباس .

أخبر أنه أسرى بعبده ومصطفاه فالأمر على اليقين لا يحمل شكاً ولا غياً ولا تردداً من أي مسلم يؤمن بالله ويصدق بكتابه ورسوله ﷺ.

ما نقطة البداية؟ وما نقطة النهاية؟ وما الذي رأى بينهما بعين العناية؟ من المسجد الحرام كانت بدايته، إلى المسجد الأقصى كانت نهايته في رحلة الإسراء، لأن رحلة المعراج في آيات سورة النجم وبينهما رأى بعين أفاضها عليه الله، ما أجمله الله في قوله عز شأنه: ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (١الإسراء) لنريه أي أن الله ﷻ هو الذي كشف له، وهو الذي وضح معالم صفاته، وهو الذي أمده بنور من عنده ليرى ما أظهره الله ﷻ له.

فالإنسان وأي إنسان فيه عين ظاهرة ترى الأكوان بشعاع الشمس والقمر، وفيه عين في القلب ترى ملائكة السماء إذا وصل إلى حالة الصفاء بشعاع نوراني سلط على عين قلبه من عين البقاء، ليرى بنور من الله ملائكة الله ﷻ وفي حال هذا وأمثاله يقول الله: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ ﴾ (١٢٢الأنعام) ، وبعد أن ضرب لنا جميعاً الأمثال فإن الرجل منا في عالم النوم يرى ما لا يستطيع إحصاءه في اليقظة في آلاف السنين فيرى أنه ذهب إلى البيت الحرام وطاف حوله ثم سعى بين الصفا والمروة، ثم جالس فلاناً من عباد الله وفلاناً من أنبياء الله ورأى فلاناً من ملائكة الله، ويستيقظ في منامه في أقل من لمح البصر فيجد جسمه كما هو على هيئته وعلى فراشه ولم يتحرك من مكانه، كيف ذهب وكيف رأى وكيف علم؟

بعلم من الله، ونور من الله، وقدرة من الله يقول فيها الله ﷻ في حديثه القدسي الذي يرويه الإمام أبو هريرة وأورده الإمام البخاري ومسلم: { ما تقرب إليّ عبدي بشئ أحب إلي مما افترضته عليه ولا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأعْطِيَنَّهُ، وَإِنِ اسْتَعَاذَنِي لأعِيذَنَّهُ}[١٠٥] .

والذي ينظر بعين الله لا يتقيد بشئ من كائنات هذه الحياة لأنه يرى بفضل الله من عوالم الله ما هيأه وكشفه له مولاه ومن هنا تظهر أنوار هذه الآية القرآنية وجمالاتها في عباداتها القدسية فلم يقل جل شأنه (سبحان الذي أسرى بنبيه أو سبحان الذي أسرى برسوله) لأنه لو قال أسرى بنبيه أو رسوله كان الإسراء قاصراً على حضرته ﷺ، لكن الله فتح الباب لكل الأحباب وجعل الإسراء لكل من وصل إلى مقام العبودية من اتباع النبي المصطفى إلا أن

---

١٠٥ متفق عليه من حديث أبي هريرة

الفارق بينه وبين حبيبه ومصطفاه أنه أسرى بروحه وجسمه لذلك قال الله: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ .

وكلمة العبد لا تطلق إلا على الجسم الذي فيه حياة. أما الجسم الذي فارقته الحياة فنقول عنه: قبضت روح فلان أو جثة فلان لكننا لا نقول العبد فلان لأن العبد هو الجسم الذي فيه روح وفيه حياة بأمر الملك السبوح ﷻ، فكانت كلمة العبد إثبات لجميع البشرية أن الله أسرى به روحاً وجسداً حتى لا يتشكك متشكك في ذلك ويقول لقد كانت رؤية منامية وإلا فما إعجازها؟

وأيد الله هذا الكلام بما دار بينه وبين الكفار، فعندما كذبوه قال لهم مررت بعير فلان في موضع كذا وقد شرد لهم بعير أي ضل الطريق ودللتهم عليه، وكنت ظمآناً وكان معهم إناء في هيئة كذا فجذبته وشربت ما به من الماء، فلما رجعوا حكوا لهم ما رواه فصدقوه ﷺ، وهل الروح تشرب من إناء ويصبح الإناء فارغاً؟ .. كلا ولكنه إثبات من حضرة الله وتأييد وبرهان لرسول الله ﷺ على أنه أسرى به روحاً وجسماً. فلا نصدق مشكك في ذلك ولا يتقبل مسلم تشكيك في ذلك بل يقول كما قال الله عن الصالحين من عباد الله ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ (٧آل عمران). فجعل الأمر كه لله، فنحن نؤمن به كما ذكره الله وكما بينه حبيبه ومصطفاه ﷺ. وكلمة بعبده بعد ذلك تفتح المجال لأي عبد تصفو روحه ويطهر قلبه، ينام في ساعة الفتح الإلهي التي قدرت له فيكشف الله عن عين باصرته الغطاء ويمتعه بقبس أو شعاع مما رآه سيد الأنبياء ﷺ على قدره لا على قدر رسول الله.

وقد كان ذلك حتى في زمانه فقد قال يوماً لأحد أصحابه وهو سيدنا حارثة ﷺ وقد كان مسرياً به قال: { كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ ؟ قُلْتُ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِناً حَقًّا، فَقَالَ: اُنْظُرْ مَا تَقُولُ فَإِنَّ لِكُل شَيْءٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمانِكَ ؟ قُلْتُ: قَدْ عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا وَأَسْهَرْتُ لِذَلِكَ لَيْلِي، وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَكَأَنِي أَنْظُرُ إِلى عَرْشِ رَبي بَارِزاً، وَكَأَني أَنْظُرُ إِلى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَني أَنْظُرُ إِلى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغَوْنَ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ: أَنْتَ امْرُؤٌ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ، عَرَفْتَ فَالْزَمْ }[١٠٦] فمن نور الله قلبه بالإيمان وصفاه للعمل بالسنة والقرآن وأحيا ليله بين يدي حضرة الرحمن، فتح الله له من عالم الإيمان ما به يزيد إيمانه، ويسطع برهانه ويطلع في حضرة الله إيقانه لأن الله قال لإبراهيم ﷺ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ – ثم قال فينا ولمن قبلنا ومن بعدنا – ﴿ وَلِيَكُونَ

١٠٦ رواه الطبراني وأبونعيم

مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥الأنعام) ، أي أن كل من وصل إلى رتبة الإيقان يرى قبساً من نور الله ومن فيض نور الله في عالم الملكوت وفي غيب السموات وفي نور الأرض ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ (٣٥النور).

ومما ورد فى الخبر فى الأثر قوله ﷺ: { **لما دخلت إلى سدرة المنتهى وقف الأمين جبريل وقال: يا محمد تقدم فقلت: يا أخي يا جبريل أها هنا يترك الخليل خليله؟ قال: يا محمد أنت لو تقدمت لاخترقت وأنا لو تقدمت قيد أنملة احترقت. قال: ثم زجّ بي زجةً فإذا بي في عوالم النور وسقط على لساني قطرة أحلى من العسل وألين من الزُّبد وأبرد من الثلج فقلت: التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله فسمعته وهو يقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فردد حملة العرش وسكان الحظيرة القدسية وقالوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين قال: ثم أعطاني الله ثلاثة علوم علم أمرني بالإخبار به وعلم أمرني بكتمه وعلم خيرني فيه** } ...أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي وهبنا الهدى والإيقان، وصفاء القلوب للرحمن، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، لا يعطي صفاءه إلا لعباده الأتقياء الأنقياء الأصفياء ... وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبد الله ورسوله خلص العرب والأميين أجمعين من الغلظة والجفاء إلى الرحمة والنقاء ومن الجهالة إلى العلم والحكمة من كتاب الله ومن وحي السماء ... اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم وزده نوراً وبهاءاً وضياءاً، وأحشرنا معهم جميعاً يوم اللقاء .... واجعلنا ممن يرث نقطة من مقامه العظيم من الصفاء..... آمين. آمين .. يا أرحم الراحمين.

أما بعد.. فيا عباد الله جماعة المؤمنين.. بين الله ﷻ عظمة الإسراء وقال جل شأنه ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ ﴾ لم يقل لنريه من آيات الكون أو من آيات السماء لكنه من آيات الله ومن غيوب أسماء الله، وصفات الله، وقدرة الله التي لا ينالها إلا من اصطفاهم الله. أما الأسرار التي حصلها فأشار إليها جل شأنه، فقال: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ ﴾ فأولها ألف البداية وآخرها ياء النهاية وبينهما سر لم يكشفه الله لأحد من الأولين والآخرين، إلا لحضرة النبي ﷺ وقد ألمح إلى ذلك فقال: ﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴾ (١٠النجم).

أعطاه الله من خاصة علومه ومن خاصة وحيه ومن لطيف قدرته ومن غرائب علمه وصنعته ما لم يعطه لأحد من السابقين واللاحقين لمزيته ورفعة مكانته حتى نوقن جميعاً أنه أعظم

الرسل قدراً، وأعلى النبيين شأناً، وأنه هو الذي حصّل جميع أحوالهم، وأعطاه الله جميع أخلاقهم، وتفضل عليه بجميع علومهم فهو صفوة المرسلين، وكنز النبيين والرحمة العظمى للخلق أجمعين، فلنتخلق بأخلاقه ونتمسك بأحكامه، ونطمع جميعاً أن ندخل في رحابه لأنه باب فضل الله وكنز كرم الله.

<< ثم الدعاء >>.

الخطبة الثالثة عشرة[107]

الإسراء وتحقيق المجتمع الفاضل

الحمد لله الذي تعالى عن الجهات، وتسامى عن المسافات لا يحده شرق ولا غرب، لأنه هو الذي أوجد الشرق والغرب، ولا يوصل إليه بالخطوات، ولا تحيط بأوصافه الكلمات، ولا تشير إلى كنه ذاته العبارات، جلّ في عظمته وتعالى في قدرته عن أن يحيط به أحد من خلقه إلا بإذنه. سبحانه سبحانه هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم .... وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له جلّ في كماله، وتعالى في جماله عن النظير والوزير والمشير، انفرد بجميل النعوت، وكمال الصفات والأخلاق الراقية، كل ما خطر ببالك فهو ﷻ بخلاف ذلك فإذا سئلت عنه فقل، هو الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل عيب ونقص، ليس كمثله شئ وهو السميع البصير.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبد الله ورسوله، اختاره الله ﷻ لإمامة الأنبياء والمرسلين وفتح له أبواب الملكوت وأطلعه على عوالم قدرته، وعلى برازخ حكمته، وعلى حقيقة ناره وجنته، وبعد ذلك كان قربه من الله وهو على العرش كقربه من الله وهو على الثرى والتراب، لأنه ﷻ لا تدركه الأبصار، ولا تستطيع أن تراه العيون، إلا إذا تجلى بفضله على عبده فأعطاه نوراً من نوره ينظر به إليه فيكون ينظر بنور الله إلى الله ... فاللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد، بيت الله المعمور بالله، ونور الله الدال على الله، وشمس الحق المشرقة بنور هداه، شفيع المذنبين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أما بعد.. فيا إخواني جماعة المؤمنين.. ونحن في شهر الإسراء والمعراج، أدعو نفسي وإخواني من المؤمنين والمؤمنات إلى تصفح هذه الحادثة الجليلة وقراءتها بإمعان وتأنيّ، فإن فيها

[107] كانت هذه الخطبة بمسجد النور بحدائق المعادي بالقاهرة يوم الجمعة الموافق ٢٢/١١/١٩٩٦م.

الكثير والكثير مما لا نستطيع أن نحيط به في هذا الوقت القصير. وقد رسم الإسراء والمعراج للمسلمين معالم المدينة الفاضلة والمجتمع المثالي النبيل الذي ننشده جميعاً ونتمنى أن نعيش فيه ولو أياماً قليلة.

وقد ظن أهل الكفر في عصرنا أن المجتمع الفاضل هو الذي يعمر بالبنايات ويشيد بالمنشآت وتقام أسسه على المال والثراء المادي والعلم العصري، ونسوا أن ذلك كله لا يفيد إذا لم ينصلح الإنسان من داخله فهو الذي يعمر تلك البنايات، وهو الذي يشيد تلك الإنشاءات، وهو الذي يتولى تشغيل جميع هذه الهيئات، فلو لم يبني المجتمع نفسه هذا الإنسان على المكارم العالية التي جاءت بها الأديان، فإنه يفسد في لحظة ما بناه الإنسان في آلاف الأعوام، ما الذي يقيم لنا عمارة لا تتأثر بالزلازل ولا بالكوارث؟ ليس نوع الأسمنت، ولا صنف الحديد ولا الرسم الهندسي إلا إذا صاحبها الضمير النقي عند التنفيذ، لكن لو أحضرنا جميع مستجهزات العصر ولو أحضرنا الذين بنوا ناطحات السحاب بمعداتهم وتجهيزاتهم والمواد التي استخدموها في بنائهم، ولم نستطيع أن نجهز الإنسان بضمير يراقب الديان ﷻ فسيشيد بناءاً واهياً لأنه ينهب ويسرق الأساس والمعدات والتجهيزات، أو لا يتقن العمل، أو يجتهد في الغش وذلك أمر لا تصلحه قوانين الأرض وإنما قوانين خالق السماء والأرض ﷻ.

مهما اجتهدنا في أي ميدان: مدارس، مستشفيات، جامعات، مصانع، هيئات وأقمناها على أحدث طراز عصري من الذي يُشغل الأجهزة؟ ومن الذي يدير الأعمال؟ إنهم هم أفراد هذا المجتمع وفيهم يقول الله ﷻ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾ (١١الرعد) ، لم يقل يغيروا أنفسهم – لأن النفوس لا تتغير – ولكن يغيروا ما بها !!!

ولذلك عندما دعا حبيبه ومصطفاه ليفرض عليه وعلينا الصلاة كان أول شئ أمر به أن أمر ملائكته الكرام أن يوقظوه من النوم ويأخذوه إلى جوار الكعبة ويرقدوه على ظهره ثم شقّوا عن بطنه ويخرجوا قلبه ويضعوه في طست من ذهب ويخرجوا منه حظ الشيطان ويغسلوه بماء زمزم، ثم جاءوا بطست مملوء إيماناً وحكمة وحشو قلبه ﷺ به ثم ردوه إلى حاله، وبدأ بعد ذلك حادث الإسراء ....

وذلكم يا جماعة المؤمنين هو باب تحقيق المجتمع الفاضل. ليس بالصلاة ولكن بتطهير القلوب من حظ الشيطان، وما حظ الشيطان في بني الإنسان؟ الغش والمكر والخداع واللؤم والخيانة، والخسة والندالة، والتهور، والجبن، والحيل، والنميمة، والغيبة، والمشي بين الناس بالوقيعة، والهمز واللمز والغمز.. كل ذلك وغيره حظ الشيطان الذي دعا إلى تطهير القلب منه الرحمن قبل أن ينضم الإنسان إلى صفوف أهل الإيمان. ماذا قال في ذلك ﷻ؟

اسمعوا واعوا ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ (٤٧الحجر). إذا تم ذلك كيف يكون وصفهم: ﴿ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ (٤٧الحجر) ...

لا تنفع قوة المؤمنين إذا كانت القلوب مملوءة بالغش والعيون يلوح منها الخيانة، والفم يظهر عليه الابتسامة الخادعة الصفراء، والقلوب تفكر في الحيل للإستيلاء على قلوب الضعفاء، ويصبح شرار المجتمع شوكة في جانب الشرفاء لأنهم يستطيعون إقلاق مضاجعهم بشئ لم يجنوه أو ألم لم يرتكبوه. فإذا منع إنسان شريف إنساناً شريراً من حق ليس له، ما أسرع ما يذهب ليأتي بتقرير طبي مزور يلصقه بالشريف ويقيم عليه تهمة لا يدري لها ولا عنها شيئاً ولا يستطيع أن يدافع عن نفسه، لأنه تقرير طبي، ولا يستطيع أن يفعل مثل ما فعل لأن ضميره يأبى عليه ذلك.

ماذا دهانا جماعة المؤمنين؟ أصبنا في ضمائرنا بأمراض عضال لا يصلح معها إصلاح القوانين، لكن لا صلاح لها إلا بإصلاح القلوب ومراقبتها لرب العالمين ﷻ. فإذا علم المرء المؤمن الذي يغدر أنه يوم القيامة يكون كما يقول ﷺ { يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَـٰذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ }[108] يمتنع عن الغدر خوفاً من الله ﷻ، لأنه ليس له هناك حيلة تنجيه ولا شئ يدفع عنه إلاَّ صدقه وعمله الصالح لله ﷻ ، وإذا علم الخائن أن رسول الله ﷺ كان يقول: { اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ }١٠٩ ويقول في شأنها {لا يزال العبد يخون إخوانه حتى تهبط به في نار جهنم} يمتنع عنها حياءاً من الله، وخوفاً من عقاب الله ﷻ، وإذا سمع أنس بن مالك الصحابي الجليل يقول: كان رسول الله ﷺ لا يتركنا في أي مجلس إلا إذا قال: { لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ }١١٠ [مرتين] ...

علم أنه لا ينفع الإيمان ولو كان معه صلاة وصيام وزكاة وحج إلا إذا كان معه أمانة، أمانة في العين، وأمانة في الأذن، فلا تطلع العين على العورات، وأمانة في الأذن فلا تغير أو تزيد ما سمعته من كلمات لأهداف خبيثات، وأمانة في اللسان فلا يقول ولا يشهد إلا لما يرضي الرحمن ﷻ وأي شهادة تقولها بلسانك ولو تزكية لعبد من عباد الله، إذا لم يكن يستحق هذه التزكية فتلك شهادة زور تستوجب لصاحبها الخلود في النار يوم النشور. فقد قال ﷺ لرجل يمدح أخاه بما ليس فيه – كما نرى في زماننا من رجوع البعض إلى قاموس الألفاظ القديمة من الباشوية والباكوية وغيرها ... ونقولها لمن يستحقها !! أو لا يستحقها !! – فقال له ﷺ: { وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ أَخِيكَ }١١١ ، ثم قال لهم مبيناً ماذا يفعلون لهؤلاء:

---

١٠٨ صحيح مسلم عن ابن عمر
١٠٩ سنن النسائي الصغرى عن أبي هريرة
١١٠ رواه الطبراني في الكبير.
١١١ رواه البخاري وأحمد عن أبي بكرة

{ احثـوا الـتراب في وجـوه المـداحين }[١١٢] أي الـذين يثنـون علـى النـاس في أي موضع بقلمهم أو بلسانهم أو بأي أمر من أمورهم وليس فيهم !! فقد اعتبرهم دين الله وشريعة الله يشهدون شهادة زور يحاسبون عليها يوم يلقى المرء الله ﷻ.

أخلاق الإيمان هي الترجمة العملية لمجتمع المدينة الفاضلة فقد رأى ﷺ بعد هذه الحادثة – حادثة شق الصدر – الأخلاق التي يحبها الله في صورة طيبة يفرح بها المؤمنون والمؤمنات، والأخلاق التي يبغضها الله كالزنا وأكل مال اليتيم ظلماً وأكل أموال الناس بالربا وغيرها في صورة قبيحة منفرة ... لماذا؟ ... حتى نعلم علم اليقين أن صلاح المجتمع بالبعد عن الأخلاق الخبيثة التي رآها ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج، والتخلق بالأخلاق الطيبة التي رآها ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج، فإذا فعلنا ذلك واجتمعنا في بيت الله كما اجتمع ﷺ مع الأنقياء من عباد الله – أنبياء الله ورسل الله وملائكة الله – وتقدم بهم للصلاة فاعلمنا أنه لا تنفع الصلاة إلا إذا اجتمعنا جميعاً في بيت الله كما اجتمع ﷺ مع أنبياء الله ورسل الله وملائكة الله على النقاء والصفاء والطهارة لله ﷻ. قال ﷺ: {الصَّلاَةُ مِكْيَالٌ، مَنْ أَوْفى بِهِ، وَمَنْ طَفَّفَ فَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لِلْمُطَفِفِينَ}١١٣ وقد قال ﷺ قال الله تعالى في حديثه القدسي: {إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلاةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ بِهَا لِعَظَمَتِي، ولَمْ يَسْتَطِلْ على خَلْقِي، ولَمْ يَبِتْ مُصِرّاً على مَعْصِيَتِي، وقَطَعَ نَهَارَهُ في ذِكْرِي، وَرَحِمَ المِسْكِينَ وابنَ السَّبِيلِ وَالأرْمَلَةَ، ورَحِمَ المُصَابَ، ذَلِكَ نُورُهُ كَنُورِ الشَّمْسِ أَكْلأُهُ بِعِزَّتِي وأَسْتَحْفِظُهُ مَلائِكَتِي، أَجْعَلُ لَهُ في الظُّلْمَةِ نُوراً، وفي الجِهَالَةِ حُلْماً، ومِثْلُهُ في خَلْقِي كَمَثَلِ الفِرْدَوْسِ في الجَنَّةِ}١١٤... أو كما قال: ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم، واعطنا الخير، وادفع عنا الشر، ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا ربَّ العالمين.

أما بعد.. إخواني جماعة المؤمنين.. أمر آخر أنبه نفسي وإخواني إليه، إذا كان الله ﷻ أحيا أرواح الأنبياء والمرسلين وأنزل الملائكة المقربين أجمعين حتى يؤدوا صلاة الجماعة مع رسول

١١٢ { أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ، أَنْ نَحْثُوَ، فِي وَجُوهِ الْمَدَّاحِينَ، التُّرَابَ} (رواه مسلم وأحمد عن أبي معمر)
١١٣ جامع الأحاديث والمراسيل عن سلمان الفارسي.
١١٤ رواه البزار.

الله ﷺ فهذا بيان لنا في أهمية الجماعة في بيت الله، فقد تفشى في زماننا شئ من نفوسنا أو وساوس شيطاننا جعلنا لا نؤدي الجماعة إلا يوم الجمعة أو في رمضان، وبين ذلك نؤديها في بيوتنا مع أن نبيكم ﷺ قال: { **لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بالصَّلاَةِ فَتُقَامُ ثُمَّ آمُرُ رَجُلاً فَيُصَلِّي بالنَّاسِ ثُمَّ انْطَلِقُ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لاَ يَشْهَدُونَ الصَّلاَةَ فأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بالنَّارِ** }١١٥ همّ بأن يحرق بيوت الذين لا يؤدون الصلاة جماعة بغير عذر شرعي في بيت الله ﷻ لماذا؟

لأهميتها لي ولك !! يكفي أنها يقول فيها ﷺ :

{ **صَلاَةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاَةِ الْفَذِّ** – والفذ هو الرجل الذي ليس له نظير في عبادة الله ﷻ – **بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً**}١١٦: { **قالوا: وما الدرجة يا رسول الله؟ قال الدرجة في الجنة كمابين السماء والأرض** } ١١٧.

ويكفي أن صلاة الجماعة مقبولة على الدوام، فلو صليت بمفردك لا يقبل الله من صلاتك إلا الجزء الذي حضر فيه قلبك وخشع لله فيه قال ﷺ { **أَنَّ الرَّجُل لَيُصلِّي الصَّلاةَ، وَلَعَلَّهُ لا يَكُونُ لَهُ مِنْهَا إِلا عُشْرُهَا، أَوْ تُسْعُهَا، أَوْ ثُمْنُهَا، أَوْ سُبْعُهَا، أَوْ سُدْسُهَا ولا يكتب للمرء من صلاته إلا ما عقل منها** }١١٨ !!!

وما الحل أيها المسلمون الكرام وكلنا يعلم أن المشاكل لا تكثر إلا وقت الصلاة؟

عليكم بالجماعة فإن الجماعة إذا كان فيهم رجل صالح يقبل الله صلاته ويقبل صلاة الجميع من أجله والجماعة كما ورد فى الأثر إذا وصلت أربعين رجلاً لابد أن يكون فيها رجل صالح يحبه الله عرفناه أو لم نعرفه. فصلاة الجماعة مقبولة على الدوام.

هذا إلى جانب أن الجماعة تستوجب شهادة المؤمنين يوم الزحام فإن المرء إذا تحير في أمره يوم القيامة ينذره الله ﷻ ويقول له: ابحث عمن يشهد لك بالإيمان. من الذي يشهد له؟ سألوا هذا السؤال للرسول ﷺ فقال ﷺ: { **إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسَاجِدَ، [أي يواظب على الصلاة] فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيمَانِ** } ١١٩

. << ثم الدعاء >>.

---

١١٥ سنن أبي داوود عن أبي هريرة.
١١٦ صحيح البخارى عن عبدالله بن عمر.
١١٧ رواه مسلم بلفظ { مَا بَيْنَ كُل دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ}
١١٨ صحيح ابن حبان وسنن البيهقى الكبرى عن عبدالله بن عنمة
١١٩ رواه أحمد والترمذي والدارمى وابن ماجة عن أبى سعيد.



نبذة عن المؤلف الأستاذ فوزى محمد أبوزيد

۞ تاريخ ومحل الميلاد: ١٨/١٠/١٩٤٨م ، الجميزة – مركز السنطة – الغربية
۞المؤهل: ليسانس كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ١٩٧٠م .
۞العمل: مدير عام بمديرية طنطا التعليمية سابقاً.
۞النشاط : ١– يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بجمهورية مصر العربية، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ حدائق المعادى بالقاهرة ،ولها فروع فى جميع أنحاء الجمهورية.

٢– يتجول فى جميع أرجاء الجمهورية، وفى الأقطار العربية والإسلامية وغيرها؛ لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية بالحكمة والموعظة الحسنة.

٣– بالإضافة إلى الكتابات الهادفة إلى إعادة مجد الإسلام .

٤– والتسجيلات الصوتية و الوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس على الشرائط و الأقراص المدمجة.، ٥– وأيضا من خلال موقعه على شبكة الإنترنت: **WWW.Fawzyabuzeid.com**، وسيتم إفتتاح الموقع فى ثوبه الجديد بتاريخ ١/١١/٢٠٠٩، ليشمل التراث الوافى للشيخ تباعا من صوتيات ومرئيات وكتب وغيرها.

۞ دعوته :

١– يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات بين المسلمين والعمل على جمع الصف الإسلامى وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس.

٢– يحرص على تربية أحبابه على التربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم .

٣– يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن وعمل رسول الله ﷺ، وأصحابه الكرام .

۞ هدفه :

إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية وترسيخ المبادئ القرآنية. وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد على آله و صحبه وسلم



قائمة مؤلفات الأستاذ فوزى مُحَّد أبوزيد

أولا : من أعلام الصوفية

١ – الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى(٢ط)

٢– الشيخ مُحَّد على سلامة سيرة وسريرة.

٣– المربى الربانى السيد أحمد البدوى.

٤– شيخ الإُسلام السيد إبراهيم الدسوقى.

ثانيا : الدين والحياة :

٥– زاد الحاج و المعتمر (٢ط)

٦–٧– نفحات من نور القرآن ج١، ج ٢

٨– مائدة المسلم بين الدين و العلم.

٩– نور الجواب على أسئلة الشباب.

١٠– فتاوى جامعة للشباب.

١١– مفاتح الفرج (٦ط) (ترجم للأندونسية).

١٢– تربية القرآن لجيل الإيمان (ترجم للإنجليزية والأندونسية).

١٣– إصلاح الأفراد و المجتمعات فى الإسلام.

١٤–كيف يحبُّك الله (تحت الترجمة للأندونيسية).

١٥–كونوا قرآنا يمشى بين الناس (تحت الترجمة للأندونيسية).

١٦– المؤمنات القانتات.

١٧– فتاوى جامعة للنسـاء.

١٨– قضايا الشـباب المعاصر.

الخطب الإلهامية : المجلد الأول : المناسبات (طبعتان الأولى مجزأة والثانية مجلد واحد)

١٩– ج١: المولد النبوى.

٢٠– ج٢: الإسراء و المعراج.

٢١– ج٣ : شهر شعبان و ليلة الغفران.

٢٢-ج٤: شهر رمضان و عيد الفطر المبارك.

٢٣- ج٥ : الحج و عيد الأضحى المبارك.

٢٤- ج٦ : الهجرة و يوم عاشوراء.

ثالثا : الحقيقة المحمدية :

٢٥- حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (٣طبعات).

٢٦- الرحمة المهداة.

٢٧- إشراقات الإسراء-ج١(٢ط).

٢٨- إشراقات الإسراء (ج٢).

٢٩- الكمالات المحمدية.

٣٠- واجب المسلمين المعاصرين نحو الرسول ﷺ (ترجم للإنجليزية).

رابعا : الطريق إلى الله :

٣١- طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين (ترجم للأندونسية).

٣٢- أذكار الأبرار.

٣٣- المجاهدة للصفاء و المشاهدة.

٣٤- علامات التوفيق لأهل التحقيق.

٣٥- رسالة الصالحين.

٣٦- مراقى الصالحين.

٣٧- طريق المحبوبين و أذواقهم.

٣٨-كيف تكون داعياً على بصيرة.

خامسا : دراسات صوفية معاصرة :

٣٩- الصوفية و الحياة المعاصرة.

٤٠- الصفاء والأصفياء.

٤١- أبواب القرب و منازل التقريب.

٤٢- الصوفية فى القرآن والسنة (٢ط) (ترجم للإنجليزية).

٤٣- المنهج الصوفى والحياة العصرية.

٤٤- الولايـة والأوليـاء.

٤٥- موازين الصادقين.

٤٦- الفتح العرفـانى.

٤٧- النفس وصفها وتزكيتها.

سادساً: سلسلة شفاء الصدور

٤٨- مختصر مفاتح الفرج (٢ط).

٤٩- أذكـار الأبرار (٢ط).

٥٠- أوراد الأخيار (تخريج وشرح).

٥١- علاج الرزاق لعلل الأرزاق (٢ط).

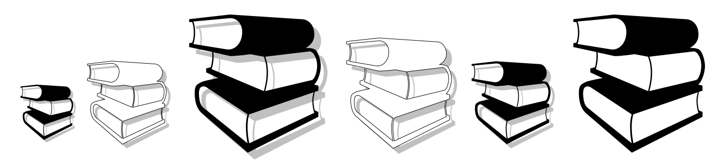
٥٢- بشـائر المؤمن عند الموت.

٥٣- أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام.

٥٤- مختصر زاد الحـاج والمعتمر.

سابعاً: تحت الطبع للمؤلف :

السلسلة		إسم الكتاب
١- من أعلام الصوفية	:	الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه
٢- دراسات صوفية معاصرة	:	حقائق التصوف النقيّ
٣-	:	سياحة العارفين
٤- الحقيقة المحمدية	:	الصلوات الإلهاميَّة
٦- الطريق إلى الله	:	طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين (ط٢)
٧-	:	الحكم الإلهاميَّة
٨- شفاء الصدور	:	مختصر مفاتح الفرج (الطبعة الثالثة)



محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
الباب الثالث : خطب شهر رجب الأغر والإسراء والمعراج	١٨٩
الخطبة الأولى: أدب المؤمن في الأشهر الحرم	١٩١
الخطبة الثانية : رجب شهر التوبة	١٩٦
الخطبة الثالثة: حديث القرآن عن الإسراء	٢٠٢
الخطبة الرابعة: الإسراء وعلاج مشكلات المجتمع	٢٠٨
الخطبة الخامسة: جمال الدعاء في الإسراء	٢١٥
الخطبة السادسة: بركة الوقت للأنبياء والصالحين	٢٢٣
الخطبة السابعة: الصلاة علاج لأمراض العصر	٢٢٨
الخطبة الثامنة: سر ابتلاء المؤمنين	٢٣٥
الخطبة التاسعة: الهدى الإسلامي في الإنفاق	٢٣٩
الخطبة العاشرة: حكمة المعراج	٢٤٥
الخطبة الحادية عشرة: حكمة الإسراء إلى بيت المقدس	٢٥٠
الخطبة الثانية عشرة: منح الإسراء للأصفياء	٢٥٥
الخطبة الثالثة عشرة: الإسراء وتحقيق المجتمع الفاضل	٢٦٠

==============================